OHR TORAH INTERFAITH CENTER

Blickle Institute for Interfaith Dialogue

OHR TORAH STONE

التآخي الديني بين المسلمين واليهود

الحاخام د. يعقوف ناغين

آب ٢٠٢٤

OHR TORAH INTERFAITH CENTER
Blickle Institute for Interfaith Dialogue
OHR TORAH STONE

التآخي الدينيّ بين المسلمين واليهود

نموذج متجدّد لمستقبل مشترك

ترجمة: د. ربي سمعان، جلوكال للترجمة والحلول اللغويّة

التآخي الدينيّ بين المسلمين واليهود
نموذج متجدّد لمستقبل مشترك

المقدمة

الديانات الإبراهيمية الثلاث لم تخلق لاحتواء وتقبّل بعضها البعض بسبب مصير محتوم أو من باب اللطف، بل خُلقت لتنفتح وتنكشف على بعضها البعض، ولتعود كلّ منها بالفائدة على الأخرى.

جلالة الملك محمد السادس،
المملكة المغربيّة [1]

تعبّر هذه الكلمات عن الرؤية التي شكّلت نقطة انطلاق بالنسبة لي. أنا حاخام مؤمن بإرادة اللّٰه أن تكون الديانات الإبراهيميّة أداة لمداواة الشرخ القائم بيننا، ومصدر بركة لنا جميعًا. أومن بأنّنا نتشارك جميعًا قصّة رائعة وسامية، يوجد فيها لكلّ ديانة دورٌ مميّز عليها تأديته من أجل الإنسانيّة.

[1] https://www.moroccoworldnews.com/2019/03/269240/king-mohammed-vi-pope-francis-morocco-2.

نموذج متجدّد:

العنوان الثانويّ لهذه الوثيقة لا يدعو لبلورة نموذج جديد، بل متجدّد. عقب سنوات من الدراسة والتعمّق في الذات وفي موروثات أخرى، أدركت أنّ أصداء هذه الدعوة تعود إلى نصوصنا التأسيسيّة. يتناول مركز أور توراه للتفاهم بين الأديان[2] موضوعيْ البحث والحوار من منطلق الالتزام المضاعف: الالتزام بنصوصنا الدينيّة، والتطلّع لأن تكون جهودنا نابعة عن مشيئة إلهيّة في المقام الأول، وأن تعكس أيضًا هذه المشيئة على أكمل وجه. في القرآن الكريم، كل سورة، باستثناء واحدة، تبدأ بالبسملة. في التوراة، يجوب سيّدنا إبراهيم بقاع الأرض مناديًا باسم اللّه[3] وتتنبّأ التوراة بتحقيق وحدة مستقبليّة بين بني البشر، يخدم جميعم اللّه وينادون باسمه.[4]

الديناميكيّات الخاصّة تتطلّب اتّباع نهج خاصّ:

إنّ تميّز كلّ ديانة يتطلّب منا رصد وتشخيص التّحدّيات العينيّة والنِعم الكامنة في كل علاقة بين أتباع ديانات مختلفة لهذا السبب، فإنّ العمل بموجب نموذج عام للعلاقات بين أتباع الديانات المختلفة، والذي يسري على جميع الديانات، يحدّ من تحقيق كامل الإمكانات الكامنة في مثل هذه العلاقات، في حين أنّ الإقرار بالديناميكيّة الخاصّة بكلّ علاقة فرديّة يتيح المجال لتداخل تحوّليّ أشد عمقًا. وعليه، اخترت تخصيص هذه الأطروحة للعلاقة بين الديانتين اليهوديّة والإسلاميّة فقط.

الفصل الأول من هذه المقالة يستعرض مكانة وأهميّة الديانة الإسلاميّة من منظور يهوديّ. الفصل الثاني يُعنى بالجانب الآخر من هذه العلاقة الثنائيّة لمناقشة مكانة الديانة اليهوديّة والشعب اليهوديّ من منظور إسلاميّ.

[2] يضمّ مركز أور توراه معهد بليكل لحوار الأديان وبيت ميدراش لليهوديّة والإنسانيّة. لمزيدٍ من المعلومات، راجعوا الملحق.
[3] سفر التكوين 13:4.
[4] سفر صفنيا 3:9.

قبل الخوض في هذا الموضوع، أودّ التطرّق إلى سابقة مُلهِمة في الكنيسة الكاثوليكيّة. ففي عام 1965، أصدر المجمع الفاتيكانيّ الثاني وثيقة "نوسترا إيتاتي" (وتعني "في عهدنا")، لتكون بداية لسيرورة أدّت إلى تحوّلات جذريّة في العلاقات المسيحيّة- اليهودية.[5] إنّ خوض سيرورة ثنائيّة تجمع بين اليهوديّة والإسلام هو خطوة إضافيّة ومُلحة؛ إنّه مشروع طويل الأجل في مؤسّستنا.[6]

من صراع بين الهويّات إلى سرديّة مشتركة:

الصراعات المتعدّدة في الشرق الأوسط هي دليل مأساويّ على الخطر الهدّام المقترن بتسليح الدين. ولكن دعونا لا ننسى قدرة الدين على أن يكون منبعًا للنِعم. يشمل ذلك التطوّرات الدبلوماسيّة التي حصلت في السنوات الأخيرة، والتي أسهمت في توطيد أواصر العلاقات بين اليهود والمسلمين، وقد شدّد البعض منها على القوة الموحِدّة بيننا، المتمثّلة بسيّدنا إبراهيم.

السؤال الأهم المطروح في سياق العلاقات اليهوديّة-الإسلامية، خاصةً في الشرق الأوسط، هو كالتالي: هل ستضعنا هويّاتنا الأساسيّة في مواجهة مع بعضنا البعض، أمّ أنّها ستقرب بيننا من أجل بناء مستقبل نكون فيه عناصر مكملة لقصّة رائعة لم تنته أحداثها بعد؟ هل يمكن للدين أن يتحوّل من عامل مسبّب للمشكلة إلى عامل

[5] نخصّ بالذكر أيضًا الإصدار "A Document on Human Fraternity for World Peace and Living Together" signed in 2019 by Pope Francis and the Grand Imam of Al-Azhar, Ahmad el-Tayeb (https://www.vaticannews.va/en/pope/news/2019-02/pope-francis-uae-grand-imam-declaration-of-peace.html). تدين هذه الوثيقة العنف الممارس باسم الدين، وتسلّط الضوء على القيم الدينيّة المشتركة، مؤكّدة أنّ: الإيمان يجعل المؤمن يرى في الآخر آخًا أو أختًا له، وعليه أن يدعمه/يدعمها وأن يحبّه/يحبّها. ولكنّ هذه الوثيقة لا تتطرّق إلى شرعيّة وقيمة الهوية الدينيّة الخاصّة بالآخر، والتي يكون إنكارها في أغلب الحالات مصدرًا للعنف والتوتّر بين أتباع الديانات المختلفة. إنّ التأكيد على شرعيّة وقيمة هوية الآخر الدينيّة يُسهم في تعميق الاحترام المتبادل والشراكة. تتطلّع هذه الأطروحة لاتخاذ هذه الخطوة الإضافيّة.

[6] أود التنويه بأنّ التركيز الحاليّ على التآخي بين المسلمين واليهود لا يعني بأي شكل من الأشكال تقويض سائر العلاقات بين أتباع الديانات المختلفة. بل على العكس من ذلك، إذ نأمل أن تكون التطوّرات الإيجابيّة في أيّ علاقة مصدر إلهام وإرشاد في تطوّر علاقات أخرى.

مساهمٍ في الحلّ؟ بالنسبة للأشخاص الذي يؤمنون بأنّ اللّه يرفض الآخر، وبالتالي، فإنّ ديانة الآخر باطلة، فإنّ عقيدتهم الدينيّة ستبقى عاملًا مسبّبًا للتفرقة. ولكن إن اعترفنا، في عقولنا وقلوبنا، بأنّ الرب الذي نؤمن به ونحبّه ونصلّي من أجله، والذي يحبّنا هو أيضًا، هو الرب نفسه الذي يحب الآخر، والذي يعبده ويصلّي له الآخر، فإنّ عقيدتنا ستصبح همزة وصل بيننا. كما جاء في سفر المزامير: "رَفِيقٌ أَنَا لِكُلِّ الَّذِينَ يَتَّقُونَكَ ولحافظي وصاياك[7]" تسعى هذه الأطروحة إلى التأكيد على احتمالية إنشاء علاقة وتعاون كهذا.

للوهلة الأولى، فإنّ احتمال وجود موروث مشترك يجمع بيننا يجب أن يكون أمرًا بديهيًّا. ففي المحصّلة، الكتابات الحاخاميّة تحترم العقيدة الإسلاميّة وإيمان أتباعها باللّه. كما قال موسى بن ميمون،[8] فإنّ المسلّمين يوحّدون اللّه بالشكل الصحيح، بدون أي شوائب. ويعترف المسلمون أيضًا بهذا القاسم المشترك. على سبيل المثال، تنصّ آية قرآنيّة عن اليهود على أنّ "إِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُون"[9] بالإضافة إلى ذلك، يمنح القرآن الكريم اليهود مكانة خاصةً باعتبارهم أهل الكتاب، معتبرًا التوراة دليلًا منحه اللّه للشعب اليهوديّ.

مع ذلك، هناك تفاوت بين احتمال إنشاء تعاون قائم على ما ورَد أعلاه، وبين شكل العلاقة الحاليّ. هذا التفاوت ناتج أساسًا عن جدل وصراعات تعود للعصور الوسطى، تناقلتها الأجيال إلى أنّ أدّت إلى تفسير المراجع الإسلاميّة بطرق تشكّك في الكثير من الاقتباسات الإيجابيّة عن اليهوديّة، وعن الشعب اليهوديّ والتوراة؛ وأيضًا عن الموقف المتعصّب تاريخيًا من الجاليات اليهودية، وهو ثمرة قرون طويلة من الاضطهاد.

لقد حان الوقت لأن تدرك الديانتان أنّهما إن لم تحصرا العلاقة فيما بينهما ضمن منافسة بين سرديتين مختلفتين، واعتبارها بدلًا من ذلك عنصرًا مكمّلا لقصّة مشتركة، فإنّ ذلك سيعود عليهما بالفائدة. معًا،

[7] سفر المزامير 119:63.
[8] عاش الحاخام موسى بن ميمون في مصر في الفترة ما بين 1135-1204. الفتوى رقم 448.
[9] سورة العنكبوت، الآية 46.

يمكنهما مواجهة التحدي الماثل أمامهما في عالمٍ يكون فيه البديل المتاح أمام أتباعهما ليس تبنّي عقيدة دينيّة أخرى، إنّما التخلّي تمامًا عن العقيدة الدينيّة. ومع أنّ هذه الديناميّة تسري على العلاقات بين جميع الديانات، إلّا أنّها مهمّة للغاية في العلاقة بين اليهوديّة والإسلام. الإسلام قائم على تعاقب الأنبياء والوحي بمختلف أشكاله؛ بالتالي، فإنّ تقويض اليهوديّة يقوّض الأسس التي تقوم عليها الديانة الإسلاميّة، ويُضعف العقيدة الإسلاميّة.[10] اليهود واليهودية هم خير شهادة على بعض أركان العقيدة الإسلاميّة، مثل نزول الوحي على النبي موسى في سيناء، وسلسلة النبوة الإلهيّة. والقرآن الكريم أيضًا يدعو أتباعه لتعزيز إيمانهم بواسطة اللجوء إلى اليهود (سورة يونس، الآية 94).

من منظور اليهوديّة، إذا كنّا نتطلّع إلى تحقيق الوعد التوراتيّ بمستقبل مشترك للشعب اليهوديّ والبشريّة جمعاء، لا بدّ أن يحين الوقت لبناء جسور أو لخفض الأسوار. تحقيق هذه الرؤية هو وصية إلهيّة، كما يظهر في الرجاء الأخير في الصلاة اليهوديّة "عَلينو"، والذي يختتم كلّ من الصلوات اليوميّة الثلاث. "علينو" تعني أنّه على البشريّة أجمع الاعتراف باللّه والمناداة باسمه، كما تقضي الآية "يَكُونُ الرَّبُّ وَحْدَهُ وَاسْمُهُ وَحْدَهُ".[11]

أهمية وجود مرجعيّة مترسّخة في المصادر:

في الواقع، فإنّ هذه السيرورة لا تتمثّل في رفض المعتقدات الدينيّة الأساسيّة، بل العودة إلى المصادر التي يبدو ظاهريًا أنها تناقض هذه المعتقدات، وتأطيرها ضمن سياق. حرصًا منا على الالتزام بالنصوص المقدّسة، سنعيد قراءتها من منظور جديد. سنستخدم أيضًا "آذانًا جديدة" لسماع صوت اللّه وهو يخاطبنا، من أجل بناء جسور وبناء علاقات قائمة على الاحترام المتبادل، إيمانًا منّا بأنّها مشيئة الرب- الربّ نفسه الذي يؤمن جميع أتباع الديانات الإبراهيميّة بأنّه إله الرأفة والرحمة، الراعي والمُحِب للبشرية جمعاء.

[10] يشدّد برفسور تامر متولّي على هذه النقطة في كتابه الصادر مؤخّرًا. *Bias against Judaism in Contemporary Writings: Recognition and Apology,* Al Sadiqin Press, 2020
[11] سفر زكريا 14:9.

لبناء شراكة، من المهم تطوير نماذج لاهوتيّة أصليّة، قائمة على النصوص الموثوقة، والتي تعترف بقيمة الهوية الدينيّة للآخر، كعنصر مكمل لخدمة الرب. هذه النماذج لا تمنع الانتقادات والخلافات، ولكنّها تستدعي القناعة المشتركة- في عقولنا وقي قلوبنا- بأنّنا جميعًا نعبد إلهًا واحدًا.

إنّ تعميم هذه النماذج بواسطة أنشطة توعويّة، لقاءات على المستوى الجماهيريّ والتداخل في التجارب الحياتيّة والممارسات الدينيّة للآخر، مهمّ بل وضروريّ أيضًا من أجل تحقيق أثر مستدام. الدراسة المشتركة، الصلاة والعلاقات الشخصيّة من شأنّها أن تبدّل القلوب وأن تفتح العقول للانكشاف على ثراء الهوية المشتركة.

في السيرورة التي نخوضها نحو تحقيق هذه الرؤية وإعادة التفكير في موروثاتنا، علينا أن نتجنّب استخدام مصطلحات معيّنة مثل إصلاح، لأنّها قد توحي بالرفض لما نعتبره مقدّسًا. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ هذه اللغة الاصطلاحيّة قد تشكّل دليلًا للمتطرّفين بأنّ تفسيرهم للدين غير المتجدّد كان صائبًا.

حان الوقت لنظرية يهوديّة جديدة بخصوص الإسلام:

في حين أنّ القرآن الكريم يتطرّق إلى اليهود بوضوح، إلّا أنّ النصوص التأسيسيّة اليهوديّة للتوراة والتلمود تسبق القرآن والإسلام، وبالتالي، فهي لا تتطرّق إليه. مع ذلك، واستنادًا إلى هذه النصوص اليهوديّة وتلك التي عقبتها، يمكننا أن نطوّر نموذجًا لاهوتيًّا أساسيًّا للديانات الأخرى، وتطبيق هذه المبادئ بهدف بناء نموذج لاهوتيّ يهوديّ للإسلام.

لجميع الأسباب واردة الذكر، تحقّق ذلك حتى الآن على نطاق محدود، وغالبًا في سياقات معيّنة. على سبيل المثال، ردًا على جدليّات معادية لليهوديّة وعلى اضطهاد اليهود. على سبيل المثال، العنوان الكامل للإصدار الكلاسيكيّ عن اللاهوت اليهوديّ في العصور الوسطى،

"الخزريّ"، للحاخام يهوذا اللاوي (1075-1141) هو "كتاب الرد والدليل في الدين الذليل"- وهو عنوان يكشف عن الواقع الصعب الذي عاشه اليهود في حينه.

ولكنّنا نؤمن بأنّ الوقت قد حانَ لتبنّي توجّه جديد. في *Re- envisioning God Shall Be One، Judaism's Approach to Other Religions*[12] وهو كتاب صادر عن مركزنا، نطرح نموذجًا لاهوتيًّا يهوديًّا يستند إلى مصادر مجمّعة من دراسات يهوديّة صدرت على مدار عدة أجيال. تطوّر المقالة التي أمامكم بعض الاستنتاجات المستخلصة في الكتاب، وتربطها تحديدًا بالإسلام لإنشاء قاعدة متينة للاحترام اليهوديّ الحقيقيّ والمتأصّل للإسلام.

حان الوقت لنظريّة إسلاميّة متجدّدة لليهوديّة:

بالنسبة للديانة الإسلاميّة، وكما جاء أعلاه، فإنّ نصوصها التأسيسيّة تمنح اليهوديّة، الشعب اليهوديّ وكتابه المقدّس، الشرعية والاحترام. مع ذلك، كثيرًا ما طغت على هذه الشرعية وهذا الاحترام مصادر وعقائد أخرى. بالطبع، فإنّ انتقاء المصادر الداعمة وتجاهل المصادر الإشكاليّة لن يجعلها تختفي. بدلًا من ذلك، من المهم تطوير نموذج لاهوتيّ إسلاميّ مُبتكر لليهوديّة، يتناول هذه القضايا بشكل مقنع.

ممّا لا شك فيه هو أنّ هذه السيرورة هي مهمّة القادة الدينيّين المسلمين. ولكن دعوني أشرح لكم لِمَ اخترت، مع أنّني لست مسلمًا، تناول هذه المسائل بتوسّع في إطار هذه الأطروحة.

أولًا، جزء كبير من المحتوى الذي أشاركه مستنبط ممّا تعلّمت على مدار سنوات طويلة من البحث والمناظرات حول هذه المسائل مع قادة مسلمين من مختلف أنحاء العالم. أعتقد أيضًا أنّه هناك قيمة جوهريّة في تناول بعض جوانب اللاهوت الإسلاميّ من منظور يهوديّ، خاصةً فيما يتعلّق باليهوديّة. في المحصّلة، فإنّ جزءًا كبيرًا من النصّ

[12] Maggid Books, 2024.

القرآنيّ يدور حول قصص عن الشعب اليهوديّ وأنبيائه. وقد بيّن القرآن الكريم أيضًا دور الشعب اليهوديّ كشاهد على الوحي الإلهيّ. جاء في سورة يونس "فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ **فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ** لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ"[13] (قمت بتظليل جزء من الآية). يمكننا تفسير ذلك على أنّه دعوة لسماع صوت يهوديّ عن الإسلام، خاصةً على لسان يهودٍ يكنون للإسلام احترامًا شديدًا.

دعون لا ننسى أيضًا أنّه من أجل بناء نموذج لاهوتيّ متجدّد للإسلام، علينا فهم تصوّر الإسلام لديانات أخرى. هل هي ديانة إقصائيّة ترفض وتنكر سائر الديانات أم أنّها تحترم عقائد توحيديّة أخرى؟ هل يمكن للإسلام أن يكون شريكًا في بلورة وتطبيق رؤية كونيّة لبشريّة يوحّدها الإيمان باللّه وخدمة اللّه؟ هذه الأسئلة يجب أن توجّه أيّ بحث يهوديّ يسعى للتعمّق بالإسلام.

رغم الاعتراف الوارد في النصوص القرآنيّة بالانفتاح تجاه الديانات الأخرى، خاصةً تجاه ديانات أهل الكتاب، لا يمكننا أن ننكر أنّ بعض المسلمين يتبّنون توجّهًا إقصائيًّا-متطرّفًا. ومن المعروف أيضًا أنّ بعض المتطرّفين الإسلاميّين ارتكبوا أعمال عنف باسم اللّه والدين. كلّ ديانة هي ثمرة التفاعل بين مراجعها المقدّسة وتأويلات أتباعها لها. وفي حين أنّ اللّه وكتابه المقدّس هما من الثوابت بالنسبة للمؤمنين، إلّا أنّ الفهم الشعبيّ قابل للتغيير. لهذا السبب، فإنّ مهمّة القادة الدينيّين في كلّ جيل هي إرشاد وتوعية مجتمعاتهم حول ضرورة مقاومة التطرّف.

أحد الأهداف من وراء حوار الأديان هو التأثير على تصوّر الناس لديانتهم، وتسليط الضوء على القيم الأساسيّة المترسّخة في المصادر الدينيّة. أدرك اللورد جوناثان ساكس، الحاخام الأكبر لإنجلترا، هذه

[13] سورة يونس، الآية 94.

النقطة. فقد انتقدَ استخدام المصطلح "أصوليّين" لوصف المتطرّفين الخطيرين، لأنّه يوحي بأنّ أصول وأسس الدين خطيرة، وأشار إلى عكس ذلك، قائلًا إنّ الدين يصبح أشد خطورة إذا نسينا أصوله وأسسه، وهؤلاء الموصوفون بـ "الأصوليّين" هم أكثر من ينتهك المعتقدات الأصليّة لديانتهم.

التبرير الأخير لمساهمة المفكّرين اليهود في مناقشة ديانة إبراهيميّة أخرى هو وجود سابقة تاريخيّة. تطرّقت سابقًا إلى نوسترا إيتاتي التاريخيّة. في حينه، كان ذلك جوليس إسحاق،[14] وهو يهودي، الذي لعب دورًا محوريًّا في دفع هذه السيرورة قدمًا في الكنيسة الكاثوليكيّة، بواسطة بحثه الموسّع عن المسيحيّة ولقاءاته مع قادة مسيحيّين.

أودّ التأكيد على أنّني لا أعتقد أنّ هذا النوع من الدراسة يُعنى بضرورة التسوية، لأنّه لا يمكن، بل ولا يجب أيضًا المساومة على الحقائق الدينيّة. بل على العكس من ذلك، هذه الجهود هي تعبير عن القناعة بأنّ الطريقة الوحيدة لبناء علاقة عميقة وحقيقيّة بين أتباع الديانات المختلفة هي من خلال التفاهم المتبادل. إنّه إيماني بوجود ركيزة لاهوتيّة متينة لإعادة تصوّر العلاقات اليهوديّة-الإسلاميّة. من وجهة نظري، هناك أمر إلهيّ يقضي بالسعي لإعادة تصوّر هذه العلاقة، وبالتالي، كشف الستار عن النِعَم الكامنة في القواسم المشتركة والاختلافات بيننا، الأمر الذي يسهم في بناء وتعزيز التآخي الدينيّ.[15]

[14] راجعوا كتابه *Jésus et Israël*، الذي صدرَ عام 1948.

[15] شاهدوا الفيلم الوثائقيّ المؤثّر عن قصّة حياته: "The Historian Jules Isaacs, from teaching of contempt to teachings of esteem" https://www.youtube.com/watch?app=desktop&v=x5I h8VMQ4dw&feature=youtu.be.

الفصل الأول

لاهوت يهوديّ للبشريّة ودياناتها:

بما أنّ التوراة والتلمود سبقا القرآن الكريم والإسلام، كما جاء أعلاه، علينا أولًا بناء نموذج لاهوتيّ أساسيّ لديانات أخرى، ثم بناء نموذج لاهوتيّ للإسلام، بناءً على هذه الأسس. هذا الجزء يتضمّن بعض الاستنتاجات من كتاب *Re- envisioning Judaism's Approach to Other Religions:God Shall Be One*. الفصل التالي سيطوّر هذه الأفكار فيما يتعلّق بالإسلام.

الدين لا يقتصر على اللّٰه فقط، بل يشمل الإنسان أيضًا. وعليه، فإنّ النموذج اللاهوتيّ اليهوديّ للديانات الأخرى مرتبط بشكل وثيق بالفهم والاستيعاب اليهوديّ للقصّة الأوسع للبشريّة، ولدور الشعب اليهوديّ فيها.

التوراة لا تبدأ باليهوديّة أو بالشعب اليهوديّ، إنّما بركيزة مزدوجة للإنسانيّة المشتركة والألوهيّة المشتركة. جميع بني البشر مخلوقون على صورة اللّٰه، ولجميعهم سلف مشترك. ولهذين المبدأين أصداء تتردّد في التلمود. جاء في فصل "السنهدرين" أنّ "آدم خُلِقَ وحده... من أجل السلام، لكيلا يقول أحد "أبي أعظم من أبيك"[16]، ويشدّد فصل "الآباء" على الألوهية المشتركة في النصّ القائل "محبوب الإنسان الذي خلق على صورة (اللّٰه)".[17]

طريق إبراهيم:

عندما اصطفى اللّٰه الآباء المؤسّسين في العهد القديم، لم يكن ينوي ترك البشرية جمعاء تواجه مصيرها بنفسها. بل على العكس، فقد اصطفاهم اللّٰه ليكونوا مصدر بركة للعالم أجمع.

[16] فصل السنهدرين 4:5.
[17] فصل الآباء 3:14.

كما جاء في العهد القديم عن سيدنا إبراهيم: "...وَتَتَبَارَكْ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ".[18]

دعا اللّٰه إسحاق ويعقوب أيضًا ليكونا مصدر بركة لجميع الأمم.[19]

لشرح السبب وراء اصطفاء سيّدنا إبراهيم لهذه المهمّة، جاء في التوراه: "وَإِبْرَاهِيمُ يَكُونُ أُمَّةً كَبِيرَةً وَقَوِيَّةً، **وَيَتَبَارَكْ بِهِ جَمِيعُ أُمَمِ الأَرْضِ.** لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، **لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلًا**"[20]. تستعرض هذه الآيات فكرة مترابطة: نفهم أولًا أنّ سيّدنا إبراهيم سيحمل معه البركة للبشرية أجمع؛ ثم نرى أنّ اللّٰه اصطفاه لأنّه سيوصي أبناءه، وجميع الخاضعين لسلطته، بأن يحفظوا طريق الرب، من أجل تحقيق البِر والعدل. يبدو أنّ التركيز هنا هو على بني البشر وليس على اللّٰه. ولكن إذا نظرنا عميقًا، نرى أن العلاقة الوثيقة بين الإنسان واللّٰه: "ليعملوا بِرًا وعدلًا" هي سلوكيات وأفعال بشرية، والناس الذين يسلكون هذه الطريق، يحفظون "طريق الرب". وكما أنّ رواية خلق البشريّة تسلّط الضوء على الأصل المشترك والألوهيّة المشتركة، فهنا أيضًا، نرى أنّ هناك اتصالًا رأسيًّا باللّٰه، واتصالًا أفقيًّا بالآخر.[21]

[18] سفر التكوين 12:3.
[19] سفر التكوين 26:4 وسفر التكوين 28:14.
[20] سفر التكوين 18:18-19.
[21] أعتقد أنّ العلاقة بين الإنسان واللّٰه هي رسالة جوهريّة في الموروث الإبراهيميّ. في الصفحات الأولى من كتابه *For the Perplexed of the Generation* (بمعنى دليل الحائرين من أبناء هذا الجيل)، صرّح الحاخام أبراهام إسحاق كوك بأنّ: "حقيقة خلق البشرية على صورة اللّٰه هي الركيزة الأساسيّة للتوراة. يشير نصّ قباليّ قديم" البهير" (الفقرة 6) إلى أنّ أصل هذا المفهوم يعود إلى الاسم إبراهيم، إذ أنّ القيمة العدديّة للاسم العبريّ أبراهام (248) مطابقة للقيمة العدديّة للاصطلاح "على صورة اللّٰه" (بِتسيلِم إلوكيم). هذه النقطة موضّحة في تعاليم إحدى الشخصيّات المركزيّة في موضوع الشريعة اليهوديّة في التلمود، الحاخام عاكيفا. حيث قال "محبوبة هي البشريّة التي خُلقت على صورته (صورة اللّٰه)" (فصل الآباء 3:14)، مُقرًّا أنّ المبدأ الأساسيّ للتوراة هو محبة الآخرين (تلمود أورشليم، النذور 9:4). وهذه الرسالة هي قاسم مشترك لجميع الديانات الإبراهيميّة. فعندما سُئلَ السيّد المسيح مثلًا ما هي أهمية وصيّة (إنجيل مرقص 12:28-31)، اختار الآيتين التوراتيتيْن التاليتين: "فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ" (سفر التثنية 6:5) و "... بَلْ تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (سفر اللاويين 19:18). وعلى نحو مماثل، يشير القرآن الكريم بشكل متكرّر إلى اقتران الصلاة بالزكاة. راجعوا على وجه الخصوص السورة 107- الماعون.

نرى أنّ هناك استمراريّة ما في هذا النهج المزدوّج في خطاب اللّه لبني إسرائيل عند حضورهم إلى جبل موسى لتلقّي التوراة، حيث أوصاهم بما يلي: "...تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ وَأُمَّةً مُقَدَّسَة".[22] يشبّه بني إسرائيل بالكهنة المؤتمنين على خدمة دائرة أوسع من الناس.[23] المفسّر التوراتيّ القدير، الحاخام عوفاديا سفنورنو (1475-1549) فسّر تكليف بني إسرائيل بأنّ يكونوا "مملكة كهنة" على أنّه رؤيّة نبويّة، بموجبها، تقوم كل الشعوب بخدمة اللّه معًا.[24] يبدو إذًا أن مفهوم الاختيار والتكليف مقترن بالشعور بالمسؤولية تجاه الآخر.[25]

إذا عدنا إلى فترة الهيكل الأول، والتي تمثّل بالنسب للشعب اليهوديّ العلاقة بين السماء والأرض، نرى مجددًا موضوع المسؤولية العامّة تجاه جميع الأمم. في الصلاة التي تلاها لمناسبة تدشين الهيكل، يتضرّع الملك سليمان للّه ليستجيب لأدعية جميع الناس الذين أتوا للصلاة:

وكَذلِكَ الأَجْنَبِيُّ الَّذِي لَيْسَ مِنْ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ جَاءَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدَةٍ مِنْ أَجْلِ اسْمِكَ. لأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ بِاسْمِكَ الْعَظِيمِ وَيَدِكَ الْقَوِيَّةِ وَذِرَاعِكَ الْمَمْدُودَةِ، فَمَتَى جاءَ وصَلّى في هَذا البَيْت. فَاسْمَعْ أَنْتَ مِنَ السَّمَاءِ مَكَانِ سُكْنَاكَ، وَافْعَلْ حَسَبَ كُلِّ مَا يَدْعُوَ بِهِ إِلَيْكَ الأَجْنَبِيُّ، لِيَعْلَمَ كُلُّ شُعُوبِ الأَرْضِ اسْمَكَ، فَيَخَافُوكَ كَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ.[26]

[22] سفر الخروج 19:6.
[23] سفر ملاخي: 2:7: "لأَنَّ شَفَتَيِ الْكَاهِنِ تَحْفَظَانِ مَعْرِفَةً، وَمِنْ فَمِهِ يَطْلُبُونَ الشَّرِيعَةَ، لأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّ الْجُنُودِ". توضّح هذه الآية دور الكاهن، كمصدر معرفة للجميع.
[24] "وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي مَمْلَكَةَ كَهَنَةٍ"... **تعليم جميع بني البشر التضرّع إلى اللّه وخدمته معًا، كما سيفعل بنو إسرائيل في المستقبل**، بحيث جاء: "أَمَّا أَنْتُمْ فَتُدْعَوْنَ كَهَنَةَ الرَّبِّ" (سفر إشعياء 61:6)، و "لأَنَّهُ مِنْ صِهْيَوْنَ تَخْرُجُ الشَّرِيعَةُ" (إشعياء 2:3). (تفسير سفورنو لسفر الخروج 19:6).
[25] طوّرت هذه الفكرة على يد الفيلسوف إيمانويل ليفيناس، "أجد نفسي ملزمًا باحترام الآخر؛ وبالتالي، لا حدود لما أطلبه من نفسي، مقارنةً بما أطلبه من الآخرين... والوعي الأخلاقي غير مولود من عدم، بل نابع من شعور بأنّه يحتل مكانة خاصّة، ولذلك، فهو اختير أو كُلّف بتحقيق رسالة ما". (*Difficult Freedom: Essays on Judaism, London 1990, pp. 21-22*).
[26] سفر الملوك الأول: 8: 41-43.

وإذا نظرنا إلى النبي إشعياء، نجد أنّه حقّقَ رسالة سيّدنا إبراهيم. يصف النبي إشعياء مستقبلًا تأتي فيه **"جميع الأمم"** إلى أورشليم لتسلك **"طريق الرب"** نحو العدالة والسلام.[27]

يصعب علينا التعبير بالكلمات عن عظمة اقتران اسم سيّدنا إبراهيم بالموروث المشترك للعقائد الدينيّة لمعظم بني البشر في عصرنا الحاليّ. تتوقّع أسطورة تلموديّة تعود إلى مطلع القرن الثالث بأسلوب خياليّ اعترافًا عالميًّا بسيّدنا إبراهيم: قال، الحاخام: وفي ذلك اليوم الذي رحل فيه سيّدنا إبراهيم عن العالم، وقف قادة العالم جنبًا إلى جنب، وقالوا: "ويل للعالم الذي فقد قائده، وويل للسفينة التي فقدت ربّانها".[28]

لكي يدعوا كلهم باسم الرب، ليعبدوه بكتفٍ واحدةٍ:

من وجهة نظري، فإنّ الرؤية التي توجّهنا نحو شراكة مستقبليّة بين بني البشر هي رؤية النبي صفنيا. "لأَنِّي حِينَئِذٍ أُحَوِّلُ الشُّعُوبَ إِلَى شَفَةٍ نَقِيَّةٍ، لِيَدْعُوا كُلُّهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ، لِيَعْبُدُوهُ بِكَتِفٍ وَاحِدَةٍ".[29] ما بدأ مع سيّدنا إبراهيم كدعوة للتضرّع للّه[30] يصبح دعوة مشتركة للبشريّة أجمع. لطالما اعتبرتُ الجزء الأول من الآية دعوة للتشجيع على نشاط يجمع بين أتباع الديانات المختلفة. ولكنّني احتجت لوقت طويل لكيّ أدرك معنى "كتف واحدة". وفي أحد الأيام، بعد صلاة مشتركة مع حاخامات وأئمة، حظيت بعناق دافئ من صديق عزيز/ الإمام د. طالب شريف. عندما تعانقنا، وجهًا لوجه، وقلبًا لقلب، أدركت فجأةً أنّ أكتافنا أيضا تلاصقت، لتصبح كتفًا واحدة. وعندئذ، فهمت بالكامل الآية من سفر صفنيا: فالجزء الأول منها "لِيَدْعُوا كُلُّهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ" هو المحور الرأسيّ الذي يربط البشرية باللّه. الجزء الثاني "لِيَعْبُدُوهُ بِكَتِفٍ وَاحِدَةٍ" يعود إلى الخط الأفقيّ الذي يربط بين بني البشر ويعلّمنا أنّ التآخي هو طريقة واحدة لخدمة الربّ إلهنا.

[27] سفر الملوك الأول: 8: 41-43.
[28] سفر الملوك الأول: 8: 41-43.
[29] صفنيا 3:9.
[30] سفر التكوين 12:8.

في شهر آب 2022، أصبت بنزيف دماغيّ حادّ، جعلني معلّقًا لعدة أيام بين الحياة والموت. فيه حينه، أصبح لهذه الآية التوراتيّة معنى شخصيّ بالنسبة لي. سارعت زوجتي لدعوة إخوتي وأخواتي اليهود للصلاة من أجلي، مستخدمة قائمة الأسماء وأرقام الهواتف على تطبيق واتساب على هاتفي، ووصلت رسالتها إلى كلّ إمام وشيخ وقاضٍ وأسقف وكاهن، حيث دعتهم للصلاة من أجلي. كان الردّ مذهلًا، وبفضل رحمة اللّٰه- وكفاءة الأطباء- ما زلت هنا بينكم. بالنسبة لي، أسهم ذلك، ولو بشكل بسيط، ولكن عميق، في تحقيق الرؤية بالدعاء المشترك باسم الربّ. امتناني وعرفاني لصلوات هؤلاء الأخيار من أتباع الديانات المختلفة عزّز من رسالتي وواجبي الأخلاقي للمساهمة في مداواة جروح عالمنا والدعوة للوحدة بين بني البشر بواسطة نشر المحبّة والنور.

يَكُونُ الرَّبُّ وَحْدَهُ:

"يَكُونُ الرَّبُّ وَحْدَهُ وَاسْمُهُ وَحْدَهُ".[31] كما جاء سابقًا، هذه هي الآية التي تختتم الصلوات اليهوديّة اليوميّة الثلاث. إنّها تعبّر عن جوهر المانترا في العقيدة اليهوديّة، "اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ".[32]

وهذه الرسالة هي بالطبع مشتركة لجميع الديانات الإبراهيميّة. في إنجيل مرقس، عندما سُئلَ "أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟" أجابه يسوع بأول آيتين من الشِمَع: "إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى"[33]. وعلى نحو مماثل، فإنّ أول ركن من أركان الإسلام الخمسة هو الشهادة بوجود إله واحد: "لا إله إلّا اللّٰه..."

[31] سفر زكريا 14:9.
[32] سفر التثنية 6:4.
[33] إنجيل مرقس 12: 29-30، يقتبس الآيتين 4-5 من الإصحاح السادس من سفر التثنية.

استنتج المفسّر التوراتيّ الكلاسيكيّ، راشي (الحاخام شلومه يتسحاقي 1040-1105) من الآيتين أعلاه من سفر زكريا وسفر صفنيا، أنّ تحقيق رسالة "شمع" مشروط بمشاركة البشريّة جمعاء:

الربّ إلهنا في الوقت الحاليّ، وهو ليس إلٰه الأمم الأخرى، وسيصبح مستقبلًا الإله الواحد، كما جاء في الكتب: "لأَنِّي حِينَئِذٍ أُحَوِّلُ الشُّعُوبَ إِلَى شَفَةٍ نَقِيَّةٍ، لِيَدْعُوا كُلُّهُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ، لِيَعْبُدُوهُ بِكَتِفٍ وَاحِدَةٍ" (صفنيا 3:9)، وجاء أيضًا أنّه: فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ الرَّبُّ وَحْدَهُ وَاسْمُهُ وَحْدَهُ.[34]

سننتقل الآن إلى وجهة النظر اليهوديّة حول كيفية تحقيق هذه الزمالة الروحيّة، العوائق التي تعترض طريقها وكيفية التغلّب على هذه العوائق.

توجّه يهوديّ للديانات التوحيديّة:

لا يوجد في عقديتنا مبدأ جوهريّ مخالف لسائر الديانات، وربما تكون هذه الديانات متأثّرة بوفرة المعرفة والنبوءات، أو بالروح القدس أو أيّ عونٍ إلهيّ وفقًا لظروفها وقيمتها، من خلال أتباعها الأخيار والأتقياء... ولن يحتاج أتباع هذه الديانات ترك دياناتهم طالما مارسوها بانفتاح فكريّ وبتقوى.[35]

عدد أتباع الديانة اليهوديّة قليل، قياسًا بعدد أتباع سائر الديانات الإبراهيميّة. وذلك لأنّ اليهوديّة ليست تبشيريّة، من جملة أمور أخرى. لا ينبع ذلك من اللامبالاة تجاه البشرية أجمع، إنّما من منطلق إيماننا

[34] الآية 4 من الإصحاح 6 من سفر التثنية. تجدر الإشارة إلى أنّه بالنسبة لراشي، كان ذلك بمثابة أمل للمستقبل، وليس الواقع المعاصر. عاش في راينلاند في الفترة التي تعرّضت فيها الجاليات اليهوديّة للمجازر والتحوّل الدينيّ القسريّ على نطاق واسع على يد الصليبيّين، باسم المسيحية. هذا السياق مهم جدًا لفهم السبب وراء نظرة راشي السلبيّة للديانة المسيحيّة.
[35] كتاب الحاخام أبراهام إسحاق كوك (1865-1935) *For the Perplexted of the Generation*، الفصل 52. هناك تحليل موسّع للنموذج اللاهوتيّ للديانات الأخرى الذي يقترحه الحاخام كوك في فصل مخصّص له في *Re-envisioning*.

بأنّ الخلاص وخدمة اللّه والعلاقة مع اللّه لا تتطلّب أن يكون الإنسان يهوديًّا. التوسفتا القديمة[36] تؤكّد أنّه "للأمم التقية حصة من الجنّة".[37] جاءَ في تعاليم بيت إلياهو (تنا ديبي إلياهو): "أشهّد السماء والأرض أنّه سواء كان يهوديًّا أو غير يهوديّ، رجلًا أو امرأة، عبدًا أو خادمة، فإنّ حلول الروح القدس عليهم مرتبط بأفعالهم".[38]

إلى جانب التأكيد على دور الديانات التوحيديّة الثلاث، تؤمن اليهوديّة بأنّه للشعب اليهوديّ صلة خاصّة بعهد سيناء. ذلك لا يعني أنّ جميع السلوكيات والمعتقدات مشروعة لسائر البشريّة، بل أنّ اليهوديّة تحدّد قيمًا ومعتقدات روحيّة وأخلاقيّة عامّة، ولكنّ التعاليم والطقوس اليهوديّة ليست الطريقة الوحيدة لتحقيقها. في العصر الحالي، جزء كبير من البشرية والديانات القائمة فيها يتشاركون مع اليهوديّة الكثير من هذه القيم والمعتقدات الأساسيّة.

هذا التصوّر يحافظ على الهوية الخاصّة لكل مجتمع من ناحية، وفي الوقت نفسه، يعترف بوجود رؤية مشتركة للبشريّة أجمع. هذا التصوّر الجوهريّ هو قاعدة أساسيّة للوحدة والتآخي العالميّين.[39] أعتقد أنّ هذه الرسالة هي رسالة الشعب اليهوديّ. لا أستخدم هنا اصطلاح "رسالة" بمعناه المسيحيّ التبشيريّ، إنّما بتلبية دعوة الأنباء ببناء مستقبل مزهر للبشرية، قائم على القيم والمعتقدات الجوهريّة المشتركة. في مشهد صوّره الحاخام يهودا ليون أشكنازي،[40] فإنّ الهويات المختلفة التي تتكوّن منها البشرية أشبه بالتنوّع الرائع للزهور؛ دور الشعب اليهوديّ هو تشكيل قوة موحِّدة، تجمع بين كل هذه الزهور لتكوّن باقة جميلة.[41]

[36] سنهدرين 13:2 (كُتب بين القرنين الثاني والثالث للميلاد).
[37] راجعوا أيضًا سنهدرين 105أ، وقوانين موسى بن ميمون للملوك والحروب في "مشناه توراة"، 8:11.
[38] تعاليم بيت إلياهو، الفصل 9.
[39] راجعوا الفصل عن الحاخام يهودا أشكنازي في *God Shall Be One by* Nagen, Rosenblatt and Malach; Rabbi Jonathan Sacks, *The Dignity of Difference: How to Avoid the Clash of Civilizations,* in particular chapter 3; and Yakov Nagen, "Noaḥ: John Lennon and the Tower of Babel" في *Be Become Bless: Jewish Spirituality Between East and West*
[40] ولد وترعرع الحاخام يهودا أشكنازي (1922-1996)، والذي عرف باسم مانيتو في أوساط مسلمة في الجزائر العاصمة. في مرحلة الرشد، عاش في فرنسا، حيث اعتبر شخصية حاخاميّة قياديّة في أوساط اليهود الفرنسيّين.
[41] *Sod Midrash HaToledot,* vol. 1, p. 46. *هناك ترجمة للإنجليزيّة في God Shall be One.*

الشعب اليهوديّ مناسب لتأدية هذا الدور لاستيفائه شرطين أساسيّين. أولًا، اليهود هم الحَمَلة والشهود القدامى للقصّة الجوهريّة للجزء الأكبر من البشريّة. التناخ العبريّ هو كتاب مقدّس بالنسبة للمسيحيّين، بينما يعترف الإسلام بالأنبياء التناخيّين، فقد تكرّر اسم النبي موسى في القرآن أكثر من غيره من مراجع- بحيث ذكر أكثر من 130 مرة. ثانيًا، اليهودية لا تسعى لتهويد الآخرين. هذان العاملان، مُجتمِعان، يمكّنان الشعب اليهوديّ من السعي لخلق عالم ينعم بالوحدة وسط التعدديّة.[42]

الواجبات العامّة للبشريّة:

مقابل الحقوق الإلهيّة العامّة، هناك أيضًا واجبات عامّة تمليها القوة الإلهيّة. وعلى هذا الأساس، تعلّمنا اليهوديّة أنّ هناك سبع وصايا لأبناء سيّدنا نوح، والتي تنطبق على البشريّة أجمع. لفهم أهميتها، من المهم تحديد السياق الذي تبلورت فيه، وخصائصها المميّزة.[43]

يستقي التلمود من التناخ قائمة بسبع وصايا ملزمة لسلالة نوح (أيّ البشرية أجمع). "أوصيت سلالة سيّدنا نوح بسبع وصايا: التجديف، عبادة الأصنام، الفاحشة الجنسيّة، القتل والسرقة وأكل أيّ طرف من أطراف الحيوان وإقامة محاكم لمعاقبة المخالفين".[44] حتى عهد سيّدنا نوح،

[42] كما سيردَ لاحقًا، وكما يستدل من اقتباس الملك محمّد السادس في بداية هذه الأطروحة، هناك أيضًا مصادر إسلاميّة تشيد بالتعدّدية الدينيّة. هذا المصادر أقل حضورًا في الخطاب المعاصر. ونأمل ونعتقد أنّنا قادرين على تسريع هذه السيرورة التي ستسهم في سماع هذه الأصوات وسط الأصوات الإسلاميّة. أود الإشارة هنا إلى شعار إندونيسا، أكبر دولة إسلاميّة في العالم: "Bhinekka Tungaal Ika"، ومعناه "الوحدة في التنوّع". في زياراتي إلى هذه الجمهوريّة، رأيت العديد من الإندونيسيّين يطبّقون هذا الشعار في حياتهم اليوميّة. أعجبتني على وجه الخصوص المنظّمة الإندونيسيّة Nahdlatul Ulama (صحوة العلماء)، وهي أكبر منظّمة إسلاميّة في العالم، وقائدها باك يحيى ثقوف، والذي بوركتِ بصداقتي به منذ سنوات طويلة.
[43] Civilization's Foundation or Religious Identity?" https://traditiononline.org/noahide-laws-civilizations-foundation-or-religious-identity/.
[44] Sanhedrin 56a. اثنتان من هذه الوصايا (عبادة الأصنام والتجديف) تحظران المساس بالعلاقة بين الإنسان واللّه؛ اثنتان (العلاقات الجنسيّة المحرّمة والقتل) تحظران إلحاق أذى جسيم بالمجتمع البشريّ؛ اثنتان (السرقة ووجوب إقامة محاكم) تحميان الممتلكات الخاصّة، وبالتالي، فهما تدعمان التعاون الدقيق الذي يقوم عليه الاقتصاد البشريّ؛ وأخيرًا (أكل اللحوم من حيوان حيّ)، والتي تحظر التعامل مع الكائنات الأخرى بوحشية.

اتّسمت قصّة البشرية بموجب التناخ بانحطاط مجتمعيّ تدريجيّ، بلغ ذروته بحدوث الطوفان. في هذا السياق، يمكننا الاستنتاج أنّ الهدف من وراء الوصايا كان تجنّب تكرار الأنماط السلوكيّة التي أدّت إلى هلاك العالم.

ومن المعروف أنّ هذه الوصايا هي جزءٌ من جميع الديانات الإبراهيميّة. بكلمات الحاخام تسفي هيرش حايوت (1805-1855):[45] "الوصايا السبع تمثّل الشريعة العقلانيّة، وهي أيضًا جزءٌ من الشريعتين الإسلاميّة والمسيحيّة حيثما امتدت سلطتهما. تراقب الشريعتان أيضًا مدى الالتزام بحظر العلاقات الجنسيّة المحرّمة، القتل، التجديف والسرقة وإقامة محاكم لمعاقبة المخالفين، وتتعاملان بحزمٍ وصرامة مع المخالفين. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ المسلمين لا يعبدون الأصنام، ويحرصون على اتّباع الوصايا السبع".[46]

> هذه القوانين السبعة هي أساسًا محرّمات. فهي تتطرّق إلى المحظورات ولكنّها لا ترشدنا إلى الطريق نحو بناء مجتمع مثاليّ أو تعميق صلتنا بالله. بالإضافة إلى ذلك، فإنّها لا تشكّل جوهر الدين، والذي يجب أن يشمل العلاقة الرأسية مع الله، المتمثّلة بخدمة الله، والعلاقة الأفقيّة مع الآخر.

الديانات مكتملة الأركان التي تشمل الإيمان باللّه العليّ والمدبّر والذي يتطلّب منا الالتزام بسلوكيات أخلاقيّة، ستتضمّن بديهيًّا شرائع نوح السبع. ذلك يعني أنّها ليست مجرّد مجموعة محدودة من القوانين.[47] هذا الاستنتاج هو الركيزة لبلورة نموذج لاهوتيّ يهوديّ للديانات الأخرى.

[45] عالِم حاخاميّ قدير من جليقية، أشهر أعماله هو المقدمة للأدب الحاخاميّ المعروفة باسم *Mevo HaTalmud*
[46] *Kuntres Tiferet Yisrael*, quoted in Kol *Sifrei Maharatz Ḥayyot*, vol. 1 (Jerusalem: Divrei Ḥakhamim, 1958), 489–490. ورَدَ العديد من الاقتباسات المماثلة لعلماء حاخاميّين في كتاب *God Shall be One*.
[47] وقد قيل ذلك بوضوح، وعلى مرّ العصور، على لسان العديد من حكماء الحاخاميّة، أهمّهم ميئيري (الحاخام ميناحيم بن شلومه ميئيري 1249-1315)، الذي طبّق هذه الفكرة على الديانتين اللتين عرفهما، المسيحيّة والإسلام. تشغل وجهة النظر هذه حيّزًا كبيرًا في *God Shall be One*، والذي يتضمّن عدة حجج تدعم هذا التوجّه.

التصوّر أنّ اللّه يقدّر التديّن وخدمة البشريّة له وردَ في التناخ، وتحديدًا في سفر ملاخي:

> لأَنَّهُ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا اسْمِي عَظِيمٌ بَيْنَ الأُمَمِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يُقَرَّبُ لاسْمِي بَخُورٌ وَتَقْدِمَةٌ طَاهِرَةٌ، لأَنَّ اسْمِي عَظِيمٌ بَيْنَ الأُمَمِ، قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ.[48]

عظمة اسم اللّه شائعة في جميع أصقاع الأرض، وتقدّم له القرابين. يشير التلمود أيضًا إلى أنّ هذا الاعتراف الإلهيّ يتعدّى الحدود الجغرافيّة حيث يعرف الناس الشعب اليهوديّ.[49]

لاهوت يهوديّ للإسلام

بما أنّ كل نقطة تستند إلى النقطة السابقة، سنتقدّم بشكل تدريجيّ، خطوة تلو الأخرى، للكشف عن الأسس التي يجب أن تتوفّر لإنشاء علاقة تآخٍ حقيقيّة مشتقة من هوياتنا ومعتقداتنا الأساسيّة.

(1) الإيمان المشترك باللّه:

في حين أنّ الآية 46 من سورة العنكبوت "...وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ" تتحدّث عن اليهود، صرّح موسى بن ميمون بالمثل بخصوص المسلمين الذين "يوحّدون اللّه بالشكل الصحيح، دون أي شوائب".[50] فهم إيماننا المشترك بنفس الإله هو خطوة مهمّة نحو احترام وتقدير محبة وخدمة الآخر الصادقة للّه، وصلاته، خشوعه وتقواه.

[48] سفر ملاخي 1:11.
[49] التلمود، فصل مِناحوت، 110أ.
[50] Teshuvot Ha-Rambam, Blau edition, 448.

الاعتراف بإيمان المسلمين باللّه يؤثّر على الشريعة والممارسات اليهوديّة. يجزم الحاخام أفيغدور نيفينتسيل، والذي شغل لعقود طويلة منصب الحاخام الرئيسيّ للبلدة القديمة في القدس، بأنّ الشريعة اليهوديّة تحظر تدنيس وتشويه المساجد. عندما سألته عن هذا الموضوع، فوجئ من أنّني أعتبر ذلك حكمًا حاخاميًّا رسميًا، إذ بدا له أنّ الموضوع الذي تناوله واضح وبديهيّ. وضّح لي الحاخام نيفيتسيل أنّه لم يُدرِج الموضوع ضمن مسألة التسامح الدينيّ تجاه سائر الديانات. فبما أنّ المسلمين يصلّون لله نفسه، توجد إذًا للمسجد مكانة بيت اللّه، ولذلك، فهو جدير بالاحترام. اعتبرت المساجد مكانًا مقدّسًا لحاخام جليل آخر من عصرنا هذا (1920-2013)، عوفاديا يوسف، والذي كان الحاخام الأكبر لإسرائيل في الفترة ما بين 1973 و 1983. أثناء خدمته كحاخام في القاهرة في عام 1947، ومتى تعذّر عليه إيجاد كنيس، كان يفضّل تأدية صلاته في مسجدٍ على أن يؤدّيها في أماكن مفتوحة.[51] تروي المصادر أيضًا أنّ الحاخام شموئيل سالانت (1816-1909)، الحاخام الأكبر لأورشليم القدس، حرص على عدم السير أمام المسلمين أثناء الصلاة، تماشيًا مع المعتقد الدينيّ اليهوديّ بأنّ الحضور الإلهيّ يزين المكان المقابل للشخص المُصلّي لله.

(2) طريق إبراهيم:

كما جاء أعلاه، فإن الإسلام واليهوديّة يعتبران سيّدنا إبراهيم شخصيّة أبويّة كشفت إلى العالم طريق الربّ. وكلتاهما تنسبان له صفة صديق اللّه: "وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا".[52] يصف القرآن الكريم سيّدنا إبراهيم كمعلّم للجميع: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا"[53] و"وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ".[54] وفي "الرسالة اليمنيّة"، يصف موسى بن ميمون سيّدنا إبراهيم كـ "عمود العالم" و"مكتشف أول وأهم قضية للكون كلّه، وشدّد على الأهمية القصوى لمبدأ التوحيد للبشرية أجمع".

[51] ابنة الحاخام يوسِف، عدينا بار شالون، هي مصدر هذه القصّة.
[52] القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 125، والنبي إشعياء، 41:8.
[53] الآية 14 من سورة البقرة.
[54] الآية 130 من سورة البقرة.

(3) قصص مشتركة للأنبياء وشخصيّات تناخيّة أخرى:

نتشارك أيضًا جزءًا كبيرًا من القصّة التأسيسيّة للعالم والتفاعل بين اللّه والبشريّة. يتشارك الإسلام مع اليهوديّة جزءًا كبيرًا من قصّة بداية الخليقة، سيّدنا نوح، الآباء البطاركة، العبودية في مصر وخروج بني إسرائيل، عهد سيناء، الرحلة إلى أرض الميعاد، الملك داود والملك سليمان وغير ذلك.

(4) اعتراف متبادل بعرقٍ مشترك:

يعترف اليهود والعرب (المسلمون الأوائل كانوا عربًا) بعِرقهم المشترك كسلالة سيّدنا إبراهيم. حتى قبل ظهور الإسلام، كانت هناك مصادر يهوديّة تناولت النَسَب العربيّ. على سبيل المثال، تطرّق المؤرّخ اليهوديّ يوسيفوس فلافيوس (37-100) إلى العرب معتبرًا إياهم سلالة إسماعيل، ابن سيّدنا إبراهيم، الأمر الذي يفسّر تقليد الختان للذكور.[55] في فترة لاحقة، كتبَ الحاخام حنائيل بِن حوشيل (980-1055)، في تفسيره التناخيّ للآية 20 من الإصحاح 17 من سفر الخروج، أنّ الفتوحات العربيّة في الشرق الأوسط في القرن السابع، كانت تحقيقًا للبركة لإسماعيل ابن سيّدنا إبراهيم وحافزًا للشعب اليهوديّ كيلا يفقد إيمانهم بالخلاص المنتظر منذ زمن طويل، والذي تنبّأ به التناخ.[56]

(5) مبادئ دينيّة مشتركة:

في مناقشة شرائع نوح السبع، لحظت أنّ الديانة مكتملة الأركان تتعدّى حدود هذه الشرائع، وتبني علاقة رأسيّة مع اللّه وعلاقة أفقيّة مع الآخر. أركان الإسلام الخمسة تشمل هذين المركّبيْن الجوهريّين. فيما يتعلّق بالعلاقة الرأسيّة، هناك *الشهادة* التي تعترف باللّه ووحدانيته، الصلوات اليوميّة الخَمس، الصيام طيلة شهر رمضان والحج إلى مدينة مكّة المكرّمة. العلاقة الأفقيّة تشمل ركن الزكاة، من ضمن أمور أخرى.

[55] Josephus Flavius, *Antiquities* 1:214.
[56] راجعوا أيضًا: القرآن الكريم، الآية 104 من سورة الإسراء، "وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا".

القواسم المشتركة بين هذه الأركان الخمسة ونظائرها في الديانة اليهوديّة قد تكون موضوع بحث رائع ومهم قائم بحد ذاته،[57] ولكنّني سأتوقّف الآن عند بعض النقاط الأساسيّة المهمّة:

- **الجزء الأول من الشهادة يوازي الـ "شِمَع" اليهوديّة، والذي يؤكّد على وجود اللّٰه ووحدانيته، ولا يمكن لذلك أن يتحقّق بالكامل وفقًا لراشي، إلّا بواسطة نداء مشترك للبشرية بأسرها.**
- **في التقاليد الإسلاميّة، تلقى النبيّ محمد ركن الصلاة خلال رحلة الإسراء والمعراج. في حديث شريف،[58] يلتقي النبيّ محمّد بالأنبياء خلال رحلته، حيث يناقش معهم ركن الصلاة. تميّز حوارهم بالاحترام المتبادل، وتطرّق إلى أتباع كلّ واحد منهم، بحيث دعا قومه "بني إسرائيل".**
- **يظهر ركن الزكاة في التناخ باعتباره الجوهر الأساسيّ لطريق سيّدنا إبراهيم، "بِرًّا وَعَدْلًا".[59] الكلمة العبريّة لـ "بِرًّا"، وهي تسِداكاه، تعني الصدقة والتقوى، أيّ أنّها مشابهة لغويًّا للكلمة العربيّة "صدقة".[60] إحدى السُوَر المفضّلة لديّ تعرّف الدين على أنّه مراعاة احتياجات الآخر:**

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ؟ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ، وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ، فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ.[61]

تشبه هذه السورة نصًا وردَ في التلمود، تتوازى فيه محبّة الآخر مع محبة الذات، باعتبارها مبدأ رئيسيّ في التوراة.[62]

[57] راجعوا سلسلة البودكاست التي أعدّتها مع الشيخ غسان مناصرة عن أركان الإسلام الخمسة، ونظائرها في اليهوديّة.
[58] https://podcasts.apple.com/il/podcast/%D7%94%D7%A4%D7%95%D7%93%D7%A7%D7%90%D7%A1%D7%98-%D7%94%D7%91%D7%99%D7%9F-%D7%93%D7%AA%D7%99-the-interfaith-%D7%94%D7%91%D7%95%D7%A7%D7%A8%D7%99-3207
[59] سفر التكوين 18:19.
[60] لمناقشة الرابط اللغويّ بين هاتين الكلمتين: https://en.wikipedia.org/wiki/Sadaqah.
[61] سورة الماعون 107.
[62] راجعوا أيضًا الملاحظة 20.

الصيام في شهر رمضان المبارك والصيام في يوم الغفران، كلاهما وقت مناسب للصدقة والصلاة والتوبة.[63]

- الحج إلى مكة المكرّمة يتوازى من نواح عديدة مع الحج إلى أورشليم.[64] وعلى نحو مماثل، اعتبر النبي إشعياء مدينة أورشليم مركزًا روحيًّا للبشرية كلّها، إلى جانب وجود مراكز روحيّة أخرى لأمم أخرى:[65] "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يَكُونُ مَذْبَحٌ لِلرَّبِّ فِي وَسَطِ أَرْضِ مِصْرَ، وَعَمُودٌ لِلرَّبِّ عِنْدَ تُخْمِهَا".[66]

(6) النبيّ محمّد ﷺ من منظور يهوديّ:

استعرضتُ وجهة نظر يهوديّة للإسلام، والتي تقدّر الإيمان الإسلامي باللّٰه ووحدانيته، وتعتبره طريق الخلاص السماويّ. من خلال محمّدﷺ وتعاليمه، فُتحت هذه الطريق أمام أكثر من مليار إنسان من مختلف أنحاء العالم، وهذه الحقيقة هي ركيزة أساسية للاحترام والتقدير اليهوديّ لشخصه.

من منظور يهوديّ، فإنّ الاعتراف برسالة محمّد ﷺ كالطريق إلى اللّٰه أهمّ بكثير من السؤال حول ما إذا كان محمّد نبيًّا. بشكل عام، تحترم اليهوديّة الحقائق الدينيّة التي تُكتشف من خلال التأمّل. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ أشكال الخدمة الإلهيّة التي ابتكرتها البشريّة تُعتبر مُرضية للّٰه. على سبيل المثال، أثنت اليهوديّة،[67] مثل الإسلام،[68] على سيّدنا إبراهيم لتأمّله هذا الوجود، ممّا أدّى به إلى الإيمان باللّٰه.[69]

[63] تنصّ الآية 184 من صورة البقرة على أنّ من يعجز عن الصيام يستطيع التكفير عن ذلك بواسطة الصدقة، ولذلك، نقول "رمضان كريم" للتهنئة بحلول الشهر المبارك.
[64] راجعوا Professor Abdulla Galadari, *Spiritual Meanings of the Haj Rituals*.
[65] إشعياء 56.
[66] إشعياء 19:19.
[67] Midrash Bereishit Rabba 39; Maimonides, Mishneh Torah, Laws of Idolatry 1:1-3.
[68] سورة الأنعام، 75-78.
[69] في *God Shall Be One*، تحديدًا في الفصل "Religiosity as an Innaate Quest of Go"، أشرت إلى أنّ المعتقد الأساسيّ في اليهوديّة بخصوص الشراكة بين الإنسان واللّٰه يجعلنا نولي أهمية قصوى للدافع الإنسانيّ الفطريّ للبحث عن الكيان الإلهيّ والتواصل المباشر معه؛ الممارسات الدينيّة تأتي من الأسفل بدل من أن تُملى من الأعلى.

هذا لا يعني أنّ اليهوديّة تنكر احتمال نزول الوحي الإلهي والنبوءة في الإسلام وعلى الرسول. في الواقع، شهدت العصور المختلفة اختلافًا في الآراء حول الدور الإلهيّ في ظهور الإسلام. هناك سببان رئيسيّان وراء تنوّع الآراء هذا في اليهوديّة، ولِمَ لا يوجد تصريح قاطع يؤكّد أو ينفي ذلك. أولًا، وكما جاء سابقًا، لأنّ التناخ والتلمود سبقا الإسلام ومحمّدﷺ، الأمر الذي يصعّب علينا التوصّل إلى استنتاج بخصوص الموقف القاطع من هذا الشأن. ثانيًا، لا توجد في اليهودية معايير للخروج بتصريحات قاطعة حول علاقة الله بشعوب أخرى. التواضع يستدعينا لتجنّب افتراض وجود موقف قاطع بخصوص العلاقة بين الله وشعوب أخرى تؤمن بديانات أخرى. يمكننا بدلًا من ذلك تقييم محتوى الديانات الأخرى والاعتراف والاحتفاء بالحقائق والقيم والأفعال المشتركة.

سأستعرض في الفصل التالي بعض المدارك اليهوديّة حول دور الإسلام في السرديّة العالميّة التي حدّدها الله.

التصوّرات اليهوديّة للدور الإلهيّ في الإسلام:

أحد التوجّهات هو اعتبار نشوء الإسلام سيرورة موجّهة من قبل الله وتحت رعايته، في إطار مساعي نشر حقيقة التوراة في العالم. تبنّى موسى بن ميمون، والذي امتدح الإسلام[70] هذا التوجّه في خاتمة مشناه توراة.[71] يشير إلى تطوّر المسيحيّة والإسلام باعتبارهما جزءًا من سيرورة يقودها الله، "أفكار الخالق عن العالم"، بهدف تقريب العالم أجمع من العصر المسيانيّ، حيث أنّ البشرية جمعاء ستعبد الله معًا.[72]

على خطى موسى بن ميمون، رأى الحاخام يعقوف عمدين (1698-1776)، أنّه لله يدٌ في انتشار المسيحيّة والإسلام: "العائلتان اللتان

[70] *Teshuvot Ha-Rambam*, 448.

[71] Mishneh Torah, Law of Kings 11:9.

[72] رغم الاعتراف بدورها التاريخيّ الإيجابيّ الموجّه تحت العناية الإلهيّة، كان موسى بن ميمون نقديًّا تجاه هذه الديانات، وسأتطرّق لاحقًا إلى هذه النقطة بواسطة ربطها بالإسلام، وسأبيّن أنّ موقفه هذا نابعٌ إلى حد كبير من واقع الاضطهاد المرير الذي عاشه اليهود باسم الإسلام في حينه.

اصطفاهما الله لتسخير شعوب كثيرة، ووضعها تحت نير المعتقدات والمواقف الضروريّة لفرض نظام في العالم للارتقاء بالأمّة ككلّ..."[73] قراءة الحاخام يعقوف عمدين للمشناه "أيّ جماعة تلتقي لغاية سماويّة، ستضمن استمراريتها"[74] تنطبق على المسيحيّة والإسلام. يرى أنّ الإسلام والمسيحيّة يحويان الحقيقة وهما ملائمان لشعوب العالم.

أحد التوجّهات الأوسع تأثيرًا هو للحكماء الذين اعتبروا الإسلام، خاصةً القرآن الكريم، ليس مجرد ثمرة العناية الإلهيّة، إنّما أيضًا ثمرة وحي إلهيّ. الحاخام نتانئيل فيومي (1090-1165) كان قائدًا مجتمعيًا وقائدًا لحاخامات اليمن في الجيل السابق لجيل موسى بن ميمون.[75] في الفصل السادس من كتابه Garden of the Intellects، يستعرض التوجّه المنهجيّ للديانات التي تؤمن بها أمم العالم:

> *اعلموا يا إخوتي أنه ليس مستحيلاً على الله أن يرسل إلى العالم، مَن يشاء ومتى يشاء... وقد أرسلَ، سبحانه وتعالى، إلى الأمم أنبياءً قبل أن يُنزل التوراة... وليس مستحيلاً على الله أن يرسل من يريد حتى بعد إنزال التوراة، لكيلا يبقى العالم خاليًا من العقيدة والإيمان.*

هذه الكلمات بنّاءة. أولًا، تؤكّد هذه الكلمات بشكل قاطع على أهميّة الديانات لدى الشعوب، باعتبارها جزءًا من الغاية الإلهيّة "بألّا يبقى العالم خاليًا من العقيدة والإيمان". بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الديانات الأخرى لا تحتل مكانة مهمّة فحسب وفقًا لليهوديّة، إنّما من المحتمل أيضًا أنّ يكون مصدر هذه الديانات نبوءة تلقتها الأمم من الله. وفقًا للفيومي، يتوجّب على كلّ أمّة قبول النبوءة التي وصلتها. قبول هذه النبوءات سيؤدّي بالبشرية جمعاء إلى عبادة الله، كلّ أمّة بطريقتها الخاصّة.

[73] Emden, *Lehem Shamayim al Avot* 4:11.

[74] *Avot* 4:11.

[75] في "الرسالة اليمنيّة" لموسى بن ميمون، حيث تطرّق إلى ابن الفيومي، يصف موسى بن ميمون الفيومي بـ "معلّمنا وحاخامنا". وفقًا للحاخام يوسف القافح، كان لكتاب الفيومي "بستان العقول" تأثير على "دلالة الحائرين" لموسى بن ميمون.

إيمان الفيومي بوجود هدف إلهيّ من وراء حثّ جميع الأمم على عبادة اللّٰه، إلى جانب إيمانه بنبوءات أمم مختلفة، قاده إلى الاستنتاج أنّه هناك ديانات أخرى غير اليهودية ليست ديانات شرعيّة فحسب إنّما أيضًا ديانات تحقّق الوحي النبويّ. وعليه، تعامل الفيوميّ مع القرآن الكريم بجدية كبيرة وآمن بأنّ القرآن الكريم مُلزم للمسلمين. فقد قام بتحليل نص القرآن بحذر شديد، إلى حدٍ جعله يجد في الفصل الثاني من كتابه معنى باطنيًّا للشهادة.[76]

جزءٌ كبيرٌ من الفصل السادس من كتاب الفيومي مكرّس لتحليل وتفسير القرآن الكريم. يستنتج من هذا التحليل أنّ القرآن الكريم لم يُلغ التوراة، بل على العكس من ذلك- إذ أنّ القرآن الكريم يؤكّد على واجب الشعب اليهوديّ للالتزام بتعاليم التوراة. في الوقت ذاته، يؤكّد الفيومي على أنّ القرآن يدلّ على نزول الوحي على أمم أخرى يلزمها جميعًا بالالتزام بأنظمتها الدينيّة.[77]

نجد أفكارًا مماثلة لأفكار الفيوميّ لدى الحاخام أبراهام إسحاق كوك. فهو أيضًا يشير إلى الاحتمال بأنّ تكون النبوءة الركيزة التي تستند إليها ديانات أخرى. في كتابه *For the Perplexed of the Generation*، صرّح الحاخام كوك بأنّه:

بشكل عام، فإنّ جوهر الإيمان لا يتعارض مع الديانات الأخرى. وكما أشرنا سابقًا، من المحتمل أن تكون وفرة المعرفة والنبوءة أو الروح القدس أو الروح الإلهيّة أو أيّ شكل من أشكال المساعدة الإلهيّة، مفيدة جميعها للأمم الأمم، حسب وضعها وقيمتها، وذلك من خلال أبنائها الأخيار والأتقياء.[78]

يستعرض الحاخام كوك مجموعة متنوّعة من الإمكانيات، من "وفرة المعرفة والنبوءة" إلى "أشكال المساعدة الإلهيّة"، وهي ركيزة ديانات أمم العالم.

[76] يشير إلى الرمزيّة الروحيّة المتمثّلة بركن *الشهادة*. *عبارة التوحيد "لا إله إلّا اللّٰه" مكوّنة من أربع كلمات، مقسّمة إلى 7 مقاطع و 12 حرفًا بحيث يوجد للأرقام 4، 7 و12 معنى كونيّ في فلسفة الفيومي (Gan HaSekkhalin, Chapter 2, pp. 34-44).*

[77] كما سترون بتوسّع في مناقشتنا للقرآن الكريم لاحقًا في هذه الأطروحة.

[78] Rabbi Abraham Kook, *For the Perplexed of the Generation*, chapter 52.

التآخي دون الاتفاق على كلّ شيء:

وضّحت سابقًا أنّ هناك ركيزة متينة للتآخي الدينيّ الحقيقيّ والمؤثّر بين اليهود والمسلمين. وهذا لا يتطلّب منّا الاتفاق على كلّ شيء. تعلّمنا المشناه القديمة أنّ "كلّ جدل دائر لوجه اللّٰه، سيكون أثره دائمًا".[79] إذا كان الخِلاف دائرًا لوجه اللّٰه، فإن النتائج ستكون إيجابيّة.

وعلى نحو مماثل، تؤكّد سورة المائدة على مشروعيّة التوراة بالنسبة لليهود، ثم تتناول أهمية وجود ديانات أخرى:

إِنَّآ أَنزَلنَا لتَّورَىٰةَ فِيهَا هُدى وَنُور يَحكُمُ بِهَا لنَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَلأَحبَارُ بِمَا ستُحفِظُواْ مِن كِتَٰبِ للَّهِ وَكَانُواْ عَلَيهِ شُهَدَآءَ (الآية 44).

ولِكُلّ جَعَلنَا مِنكُم شِرعَة وَمِنهَاجا وَلَو شَآءَ للَّهُ لَجَعَلَكُم أُمَّة وَٰحِدَة وَلَـٰكِن لِّيَبلُوَكُم فِي مَآ ءَاتَىٰكُم فَستَبِقُواْ لخَيرَٰتِ إِلَى للَّهِ مَرجِعُكُم جَمِيعا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ (الآية 48).

يدعونا القرآن الكريم للتفوّق على بعضنا البعض في عمل الخير، إلى أن يحين الوقت مستقبلًا ليشرح لنا اللّٰه فيه الاختلافات فيما بيننا، والتي أعتقد أنّها تدلّ على الجدل العقائديّ الدائر بيننا، كالموضّح في التفسير المطروح في *The Study Quran*:

الوصية التالية "فَستَبِقُواْ لَخَيرَٰتِ إِلَى للَّهِ مَرجِعُكُم جَمِيعا" لا يفترض استبدال ديانة بديانة أخرى، بل الوجود المتزامن للفئات الدينيّة المختلفة التي تتنافس فيما بينها بالفضيلة. المنافسة هنا هي بالأعمال الصالحة، أيّ على المستوى الدنيويّ والعمليّ وليس على

[79] فصل الآباء 5:17.

المستوى اللاهوتيّ. حلّ الخلافات اللاهوتيّة العصيّة بين الديانات المختلفة ليس مهمّة أتباع هذه الديانات في جميع أصقاع الأرض؛ بل بالأحرى شؤون لا تحلّ سوى على يد الله في الآخرة، عندما يحين الوقت لأن يُعلمنا أين تكمن اختلافاتنا.[80]

أومن بشدة بأنّ نقاط خلافنا والجدل الدائر بيننا لا يجب أن تحول دون تحقيق إرادة اللّٰه، وهي تحقيق كامل إمكانات التآخي في حكايتنا المشتركة.

مواجهة المشاكل في العلاقة:

على مرّ تاريخ العلاقات اليهوديّة-الإسلاميّة، شهدت فترات عديدة ازدهارًا وإبداعًا مشتركين، وقد شمل ذلك ما يُسمّى بالعصر الذهبيّ للعلاقات اليهوديّة-الإسلاميّة. مع ذلك، كانت هناك فترات عاني خلالها اليهود، باسم الإسلام ومحمد ﷺ، من الاضطهاد الدينيّ القاسي، ارتكبت فيها المجازر والتحوّل الدينيّ القسريّ والإذلال الممأسس. على سبيل المثال، اضطر موسى بن ميمون وعائلته في الأندلس في أربعينات القرن الثاني عشر، الفرار من الدولة الموحّديّة، والتي دمّرت جاليات يهوديّة عريقة، حيث أرغم اليهود على اعتناق الإسلام أو تمّ إعدامهم.[81] باعتباره قائدًا يهوديًا، كان عليه أن يجيب في رسائله عن أسئلة متعلّقة بالحياة والموت، طرحها أبناء الجاليات اليهوديّة من الأندلس في الغرب وصولًا إلى جاليات اليمن في الشرق، بحيث تساءلوا ما إذا يجب أن يموتوا شهداءً أم أن يخضعوا للتحوّل الدينيّ القسريّ.

[80] STUDY QURAN, 301.

[81] راجعوا David Wasserstein, "The intellectual genealogy of Almohad policy towards Christians and Jews" and Alan Verskin "Medieval Jewish perspectives on Almohad persecutions: Memory, repression and impact", *both in Forced Conversion in Christianity, Judaism and Islam,* ed. Mercedes Garcia-Arenal and Yonatan Glazer-Eytan, Brill 2020.

هذا الاضطهاد، المتمثّل خاصة بالتحوّل الدينيّ القسريّ، مخالف للعديد من المصادر الإسلاميّة، مثل الآية 256 من سورة البقرة، "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ". مع ذلك، يمكننا أن نتفّهم لِمَ اتخذ تصريحات موسى بن ميمون النابعة عن ألم الاضطهاد والإذلال الذي تعرّض له اليهود باسم الإسلام، شكلًا نقديًا تجاه الإسلام.[82]

ومن المؤثّر، كما رأينا أعلاه، أنّ هذا الاضطهاد لم يمنع موسى بن ميمون من الاعتراف بالعقيدة الإسلاميّة واحترامها لإيمانها الصافي بوحدانيّة اللّٰه، ولم يمنعه أيضًا من رؤية اليد والعناية الإلهيّة في انتشار الإسلام في مختلف أنحاء العالم.

الأواصر الأسريّة: مصدر للتوتّر والترابط:

وبينما تؤمن كلّ ديانة بسلفٍ مشترك للبشريّة جمعاء، فإنّ هذه الأواصر الأسريّة بين اليهود والمسلمين أشد ترابطًا، فسيّدنا إبراهيم هو الأب المؤسّس، والأخوان إسحاق وإسماعيل هما أسلافنا، كلّ حسب انتمائه الدينيّ. الأسرة لا تترك مجالًا للامبالاة، وقد تكون سلاحًا ذا حدّيْن؛ إذ تكمن فيها إمكانية المنافسة بين الإخوة، وفي الوقت نفسه، تحمل معها مشاعر الأخوة والمحبّة. إنّها مسؤوليتنا تجاه اللّٰه، تجاه سيّدنا إبراهيم وتجاه بعضنا البعض لكي نضمن انتشار هذه الأخوة والمحبّة.

تسرد التقاليد اليهوديّة والإسلاميّة قصّة الإيمان الشديد والتفاني لدى سيّدنا إبراهيم المتمثّلين في استعداده للتضحية بفلذة كبده خضوعًا لمشيئة اللّٰه. يحيي اليهود ذكرى هذه الواقعة في رأس السنة العبريّة، بينما يفعل المسلمون ذلك في عيد الأضحى.

[82] راجعوا موسى بن ميمون، "الرسالة اليمنيّة".

الاختلافات بين هذين التقليدين جديرة بالبحث المعمّق، لأنّها قد تكون مصدرًا للتأكيد على هذا الرابط. في التوراة، الابن الذي كانت ستتمّ التضحية به كان إسحاق، بينما تشير معظم التقاليد الإسلاميّة إلى أنّ هذا الابن كان إسماعيل. سئلَ صديق عزيز تربطني به علاقة وثيقة، وهو شيخ مسلم من مدينة الناصرة، من كان الابن في رواية التضحية. أجاب قائلًا: "لو كان إسماعيل، فهو أبي. ولو كان إسحاق، فهو عمّي. على أيّ حال، إنّه جزءٌ من أسرتي، والأسرة هي كيان نحبّه ونتعلّم منه".

يشير والد زوجتي، أوريئيل سايمون، وهو أستاذ في الدراسات التناخيّة، إلى أنّه في قراءة معمّقة للتوراة، يمكننا إيجاد الحقيقة القائمة في كلا الموروثيْن.[83] في الجزء الذي يتطرّق إلى عقدة إسحاق، تروي التوراة قصّة لجوء هاجر إلى الصحراء مع إسماعيل. في هذه القصّة أيضًا، هناك خطر مميت، إذا تظنّ هاجر أنّ إسماعيل سيموت عطشًا. في القصّتين، يظهر في اللحظة الأخيرة ملاك مبعوث من اللّٰه معلنًا نجاة الابن وحلول بركة عظيمة.[84] بكلمات أخرى، تنصّ التوراة على أنّ كِلا الابنين، إسحاق وإسماعيل، مباركان.

يحمل ذلك رسالة مفادها أنّ اليهود والمسلمين يجب أن يتقبّلوا جميع أبناء سيّدنا إبراهيم. في الواقع، يوجد في كلّ صلاة من الصلوات الإسلاميّة الخمس ذكرُ لسيّدنا إبراهيم وذريته (الصلاة الإبراهيميّة). وفي القرآن الكريم أيضًا، فإنّ قصة التضحية تنتهي ببركة إسحاق: "وَبَشَّرنَٰهُ بِإِسحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَبَٰرَكنَا عَلَيهِ وَعَلَىٰٓ إِسحَٰقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحسِن وَظَالِم لِّنَفسِهِ مُبِين".[85]

[83] *Seek Peace and Pursue It* [Hebrew] (Tel Aviv: Yediot Books, 2002) 56-59.
[84] سفر التكوين 21.
[85] سورة الصافات: 112-113.

يشير بروفسور سايمون إلى أنّه في سفر التكوين، خلال كلّ من الصراعات الثلاثة الكبرى بين الإخوة، وهم أبناء سيّدنا إبراهيم: إسحاق وإسماعيل، يعقوب وعيسو ويوسف وإخوته، ينتهي التناخ بمشهد المصالحة المؤثّر. في كلّ قصة، يتّحد الإخوة بسلام ليدفنوا والدهم في الخليل، في الحرم الإبراهيميّ الشريف. الرسالة التي تحملها لنا هذه القصّة هي أنّ التنافس بين الإخوة هو أمر طبيعيّ، وفي النهاية، على الرغم من الصراعات على طول الطريق، إلّا أنّ الأواصر الأسريّة تبقى مصدرًا للترابط.[86]

في رسالة كتبت عام 1908، أقرّ الحاخام كوك بالإشكاليّات القائمة في العلاقات المعاصرة بين أتباع الديانات المختلفة، ولكنّه عبّر عن تطلّعه لمستقبل تتجاوز فيه المحبة الأخويّة بين عيسو ويعقوب وبين إسحاق وإسماعيل جميع المِحن.[87]

حان الوقت لتجديد الاحترام المتبادل والصداقة:

بعد سنوات من التواصل والتحاور مع قادة مسلمين، إلى جانب دراستي المعمقّة للإسلام، خلصت إلى أنّ فترات المعاناة التي تعرّض فيها اليهود إلى اضطهاد دينيّ وإثنيّ، لا تعكس النصوص والمعتقدات الأساسيّة في الإسلام. فقد كانت هذه الأحداث استثناءً وليس قاعدةً، في العلاقة التاريخيّة بيننا التي امتدت لأربعة عشر قرنًا. يجب توضيح ذلك ونشر هذه الحقيقة إذا أردنا التغلّب على ما تبقّى من مظاهر معاداة اليهودية. أومن بأنّ ذلك سيقودنا نحو مستقبلٍ تتحقّق فيه إرادة اللّٰه فيما يتعلّق بالاحترام والاعتراف المتبادل بين الديانات، بحيث يكون لكل منها دور.

[86] Simon مقتبس في *Be Become Bless: Jewish Spirituality between East and West*, 81. العلاقات الأخويّة تمتد إلى ما هو أبعد من العلاقات الداخليّة بين اليهود، ويظهر ذلك أيضًا في التناخ. راجعوا مثلا: "لاَ تَكْرَهْ أَدُومِيًّا لأَنَّهُ أَخُوكَ". سفر التثنية 23:8.
[87] *Iggerot HaRe'iya* 1:112.

الفصل الثاني

وجهات نظر عن اليهود واليهوديّة:

مقدّمة

تناول الفصل الأول وجهة نظر يهوديّة عن الإسلام، والتي أكّدت إيمانه باللّه، معتبرة ذلك إحدى الطرق المؤدية إلى الخلاص السماويّ، واعترفت بروايته وموروثه المشتركين مع الشعب اليهوديّ واليهوديّة. سأنتقل الآن إلى الفصل الثاني، والذي يتأمّل المنظور الإسلاميّ لليهوديّة.

أومن بشدّة بأنّه لتحقيق كامل الإمكانات والنِعَم الكامنة في التآخي الدينيّ بين اليهود والمسلمين، فإنّ الاحترام والاعتراف بشرعيّة كل من الديانتين يجب أن يكونا متبادلين. لهذا السبب، نحتاج للفصل الأول، النموذج اللاهوتيّ اليهوديّ للإسلام، والفصل الثاني، النموذج اللاهوتيّ الإسلاميّ لليهوديّة.

وفي هذا الشأن، كتب الحاخام يهودا أشكنازي:

> *يمكننا التحدّث بلا نهاية عن الأخلاقيّات والقيم، ولكن في نهاية المطاف، ما يطلبه الله منّي أبسط بكثير: كيف يمكنني أن أسمح للآخرين بالعيش في عالمي، وكيف يمكنهم أن يسمحوا لي بالعيش في عالمهم؟ بدون هذه التبادليّة، لا يوجد حلّ لهذه المشكلة الأخلاقيّة، أيّ لمعادلة التآخي.*[88]

عند السماح للآخرين بالعيش في عالمنا، وسماح الآخرين لنا بالعيش في عالمهم، يجب تخصيص حيّز للدين، لأنّه جزء من هويتنا الجوهريّة.

[88] *Sod Midrash HaToledot,* vol. 3, p. 151.

مساهمة يهوديّة لنموذج لاهوتيّ إسلاميّ لليهوديّة:

النموذج اللاهوتي الإسلاميّ لليهوديّة يجب أن يصدر في المقام الأول عن سلطات دينيّة إسلاميّة. وحقًا، فإنّ جزءًا كبيرًا مما أضعه الآن بين أيديكم هو نتاج سنوات طويلة من البحث واللقاءات مع قادة دينيّين مسلمين من مختلف أنحاء العالم. أتمنى أن تحتل أطروحتي هذه مكانة مُعتبرة في هذا المجال وأن تحفّز المزيد من القادة على صياغة ونشر التعاليم في هذا الموضوع.

في الفصل الأول، وضّحت لِمَ تعتبر المساهمة اليهوديّة في مناقشة المفهوم الإسلاميّ لليهوديّ قيّمة وذات فائدة. فقد بيّن القرآن الكريم ذاته دور الشعب اليهوديّ كشهود على الوحي الإلهيّ، وجزء كبير من القرآن قائم على قصص الشعب اليهوديّ وأنبيائه.

بالإضافة إلى ذلك، من المنطقيّ أنّه عندما يسعى علماء أتباع ديانة معيّنة لصياغة نموذج لاهوتيّ لديانة أخرى، فإنّهم سيتطرّقون في تحليلاتهم إلى أصوات ومواقف أتباع الديانة الأخرى. تعود معاداة السامية ورهاب الإسلام إلى حدٍ كبير إلى خاطئة عن الآخر وعن معتقداته/ا؛ هذه الافتراضات الخاطئة قد تؤدّي إلى نموذج لاهوتيّ منقوص. في هذا السياق، من الحكمة استحضار الآية القرآنيّة الشهيرة: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ".[89] وممّا لا شك فيه أنّ فهمي واستيعابي للإسلام وتصوّري لنموذج لاهوتيّ للإسلام تأثّر بلقاءاتي ومناقشاتي مع أشخاص مسلمين.

ثلاث قضايا جوهريّة:

هناك ثلاث قضايا جوهريّة علينا التعامل معها لوضع بنية تحتيّة لتآخٍ دينيّ متبادل بين اليهود والمسلمين:

[89] سورة الحجرات، الآية 13.

القضية الأولى: مكانة الديانة اليهوديّة:

في العديد من الآيات، يؤكّد القرآن الكريم المنبع الإلهيّ للديانات الإبراهيميّة السابقة وشرعيتها، وعلى كونها طريقًا نحو الخلاص. مع ذلك، يدّعي بعض المسلمين أن هذه الأقوال هي عبارة عن "نسخ"، أيّ أنّها نُقضَت، بالتالي، فهي باطلة وعقيمة. ذلك يعنيّ أنّ اليهوديّة استبدلت قطعًا بالإسلام، ولم تعد ديانة مشروعة. يرفض مسلمون آخرون هذا التأويل للنسخ، لأنّ الآيات التي تؤكّد على شرعيّة الديانات الإبراهيميّة هي من الآيات الأخيرة في القرآن الكريم، الأمر الذي يدحض الادعاء أنّه كانت هناك آيات لاحقة تُبطل هذه التعاليم. بالإضافة إلى ذلك، كتب لي قائد دينيّ عالميّ مسلم "مفهوم *النسخ* لا ينطبق على الآيات التي... تتطرّق إلى مبادئ الإيمان، وهو جوهر الدين". هذا التوجّه لمفهوم *النسخ* ضروريّ لتحقيق الاحترام المتبادل بين الإسلام واليهوديّة. لا يمكن للتآخي أن يتحقّق إذا رفض أحد الطرف الآخر.

القضية الثانية: صحّة التوراة:

يؤكّد القرآن الكريم على المنبع الإلهيّ للتوراة، ويشير الحديث النبويّ الشريف إلى الاحترام الذي كان محمّدﷺ يكنّه للفافة التوراة. مع ذلك، يدّعي بعض المسلمين، بواسطة اعتماد تفسير معيّن لمفهوم "التحريف"، أنّ التوراة التي يقدّسها اليهود في الوقت الحاليّ هي تزوير للتوراة الأصليّة. رُفض هذا التأويل من قبل العديد من القادة والعلماء الدينيّين المسلمين المعاصرين.

القضية الثالثة: الشعب اليهوديّ من منظور القرآن الكريم:

إلى جانب العديد من الأقوال الإيجابيّة عن الشعب اليهوديّ، يحتوي القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف أيضًا على نقدٍ لليهود. اعتبار هذه الأقوال الناقدة أقوال قاطعة وشاملة للطبيعة الجوهريّة لليهود بشكل

عام يُعتبر معاداة للسامية. وعليه، يجب التوضيح أنّ هذه الانتقادات سياقيّة، أي أنّها تسري بشكل محدّد على ظروف معيّنة؛ وبالإمكان إثبات ذلك في القرآن نفسه.

هذه القضايا مهمّة جدًا لتحديد مسار العلاقة بين الإسلام واليهوديّة.

هل ستتّسم بالترابط أم بالصراع؟ احتمال نشوب صراع ذكِرَ في الرسالة المركزيّة للحاخام جوناثان ساكس في:

Not in God's Name: Confronting Religious Violence. يتطرّق ساكس إلى آفة العنف والمعاملة الوحشيّة مع الآخر بحجة أنّهم يفعلون ذلك وفقًا لمشيئة اللّٰه. يوضّح الحاخام ساكس مفهوم "الثُنائية المَرَضية" والتي تقسّم العالم إلى فئات مطلقة مثل الخير والشر، النور والظلام، أحباء اللّٰه والمنبوذين من اللّٰه. هذه الثنائيّة تشقّ الطريق نحو العنف الوحشيّ ضد هؤلاء الذين يُعتبرون تجسيدًا للهوية التي تمثّل الشرّ والظلام، والمنبوذين من اللّٰه

هذا التوجّه الرافض للقضايا أعلاه أصبح أرضًا خصبة للكراهية، العنف والإرهاب باسم اللّٰه

أحد الأمثلة المؤثّرة من عالم العلاقات المسيحيّة-الإسلاميّة يبيّن كيف يُسهم الاعتراف بهذا الواقع المؤلم في تحقيق التغيير المنشود. كان جوليس إسحاق مؤرّخًا فرنسيًّا-يهوديًّا قتلت زوجته وابنته في المحرقة النازية. في كتابه *Jesus and Israel*، وضّح كيف أسهمَت بعض التفسيرات المسيحيّة للعهد الجديد في تعليم ازدراء اليهود واليهوديّة وتطوّر عقائد تتعلّق برفض اللّٰه لهم. وقد بيّن أيضًا كيف شقّ ذلك الطريق لألفيّة معاداة السامية من قبل المسيحيّة، وفي نهاية المطاف إلى المحرقة النازيّة. تأثّر البابا يوحنا الثالث والعشرون بإسحاق وكتابه. كان هذا اللقاء محوريًّا في السيرورة التي أدّت إلى الإعلان الكنسيّ غير المسبوق، "نوسترا إيتاتي" (وتعني "في عهدنا")، والذي أعاد تعريف علاقة الدين المسيحيّ باليهود واليهوديّة، وتضمّن إعادة قراءة الكتاب المقدّس المسيحيّ وإعادة النظر في عقيدته بخصوص هذه القضايا.

الخطر الكامن في الدين كمصدر للعنف طُرح منذ القِدم في التلمود، والذي ينقد هؤلاء الذين يجعلون منه "إكسيرًا للموت" بدلا من أن يكون "إكسيرًا للحياة".[90] يشير الشاعر الإنجليزيّ وليَم بليك إلى أنّ جذور هذا الخطر تعود إلى كيفية تفسير هذه المصادر: "كلانا يقرأ الكتاب المقدّس ليلًا ونهارًا، ولكنّك تقرأ الأسود بينما أقرأ أنا الأبيض". إذا كانت جميع الخلافات الدينيّة، كما أشار بليك، هي مسألة اختلاف التوجّهات القرائية، هل يعني ذلك أنّ التفسيرات جميعها ذاتيّة وأنّ النصّ الدينيّ المقدّس لا يحمل رسائل أو حقائق واضحة؟ لا! للديانات أسس جوهريّة؛ للديانات قيم أساسيّة. توجد في كلّ ديانة قواعد توجيهيّة واستثناءات. هذه الاستثناءات يجب أن تُفهم، غالبًا بواسطة إيلاء انتباه لسياقاتها الخاصّة.

في التوراة، يُدعى اللّٰه "إيل راحوم ڤِحانون" (أيّ الرحمن الرحيم). في القرآن الكريم، تبدأ كل سورة، باستثناء واحدة، بـ "باسم اللّٰه الرحمن الرحيم". هذه المفردات المؤثّرة بالعبريّة والعربيّة متشابهة من حيث المعنى واللفظ. عند تفسير النصوص الإسلاميّة والمسيحيّة، فإنّ هذه الرحمة والرأفة يجب أن يكونا المبدأ التوجيهيّ للكشف عن إرادة اللّٰه الذي نحبّ ونعبد.

طريق إبراهيم:

رأينا أنّه بدلًا من رفض جميع الديانات، فإنّ الإسلام، مثل اليهوديّة، يتطلّب الالتزام بالمعتقدات والقيم الأساسيّة، المتجسّدة في الشخصيّة المؤسِّسة لسيّدنا إبراهيم. طريق سيّدنا إبراهيم هي القاعدة الأساسيّة للديانة التوحيديّة، كما جاء في سورة الأنعام: "قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ".[91]

[90] Talmud Yoma 72.

[91] سورة الأنعام، الآية 161. 56 راجعوا أيضًا: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ". سورة النحل، الآيات 120-123.

وجاء أيضًا في سورة البقرة:

وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ. أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي؟ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.[92]

يحذّر القرآن الكريم من أيّ ديانة تدّعي التفرّد فيما يتعلّق بسيّدنا إبراهيم وموروثه:

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ...[93]

يوضّح القرآن الكريم أنّه بما أنّ سيّدنا إبراهيم سبق نزول الكتب المقدّسة والشرائع الخاصّة بكلّ منها، لا يمكن أن يُنسب حصريًا لأيّ من الديانات. كان سيدنا حنيفًا، أيّ مؤمنًا مُخلصًا للّٰه الواحد.[94] هذا التعريف الواسع للإخلاص في عبادة اللّٰه يسري على جميع الديانات الإبراهيميّة

[92] سورة البقرة، الآيات 130-133.

[93] سورة آل عمران، الآيات 65-68.

[94] راجعوا *The Study Quran*, page 1773.

وعلى سبل التوراة، الإنجيل والقرآن الكريم. من خلال جميع هذه الديانات، يحقّق سيّدنا إبراهيم الرسالة التي كلّفه بها اللّٰه ليكون"لِلنَّاسِ إِمَامًا" (القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 124)، "عمود العالم" (موسى بن ميمون)[95] و"قائد العالم" (التلمود).[96]

للأسف، يتمّ غالبًا تشويه هذه الرسالة الجوهريّة بواسطة الالتباس اللغويّ. التسليم لأمر اللّٰه يسري على جميع سبل الإخلاص في عبادة اللّٰه في الديانات الإبراهيميّة. الكلمة العربيّة *مسلمًا* مستخدمة في القرآن الكريم لوصف رغبة سيّدنا إبراهيم ويعقوب وأبنائه التسليم لأمر اللّٰه. حقيقة أنّ أتباع دين محمّد الذين يمتثّلون لشريعة القرآن يُدعون أيضًا مسلمين، أدّت إلى الالتباس بأنّ سيّدنا إبراهيم كان "مسلمًا" وسار على خطى الإسلام، وليس الديانتين الإبراهيميتين الأخريين. وكما يوضّح تامر محمّد متولي ببلاغة: "لم يكن إبراهيم يهوديًّا أو مسيحيًّا أو محمّديًّا؛ فهذه الاصطلاحات ظهرت بعد إبراهيم، وكان هو أبيهم جميعًا".[97]

عندما ينصّ القرآن الكريم على أنّ سيّدنا إبراهيم مسلمٌ، فهذا يعني أنّه سلّم أمره للّٰه ولكنّ ذلك غير مقترن بأيّ من الديانات التوحيديّة. هذا التوضيح مهمٌ جدًا من أجل تطوير نموذج لاهوتيّ إسلاميّ إيجابيّ لليهوديّة، فهو يولي أهمية قصوى لتكريس الذات للّٰه بشكل عام، وهو ليس حكرًا على المسلمين.

[95] Laws of Foreign Worship, chapter 1.
[96] Talmud Baba Batra 91a-b.
[97] مقتبس عن "Towards a Curriculum Supporting a Culture of Peace and the Sustainable Development Goals (SDGs) In Light of the Abraham Accords", Dubai 2023.

مكانة اليهوديّة في الإسلام

إلهنا وإلهكم واحد:

إيمان الديانتين بإله واحد غير كافٍ لتحقيق الوئام بين الأديان. بل على العكس من ذلك، ففي بعض الأحيان، يكون الإيمان باللّٰه سببًا للصراع، عندما ترى إحدى الديانتين أنّ الديانة الأخرى تخدم إلهًا زائفًا، وبالتالي، فهي ترفض "الإله الحقيقيّ". على ضوء ذلك، هناك أهميّة بالغة للنصّ القرآنيّ الواضح والذي يجزم بأنّ اللّٰه في الإسلام هو إله أهل الكتاب:

وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ.[98]

هذا النصّ القرآنيّ التأسيسيّ لا يقتصر على الإيمان المشترك باللّٰه، ويعلن أنّ الكتب المقدّسة للديانة الأخرى منزلة من السماء، وبالتالي، فإنّه يدعو لإدارة الخلافات الدينيّة بطريقة لائقة. الاحترام المتبادل لا يحول دون نشوب خلافات، لكنّه يحدّد نبرة الخلاف ومنهجه.

الإيمان بإله واحدٍ هو جوهر *الشهادة* في الإسلام، *والشَّمَع* في اليهوديّة. الإيمان بإله مشترك يجب أن يسهم في تحقيق التغيير المنشود.[99] ولكن هذه الحقيقة لا يكفي أن تكون في أذهاننا فقط، إنّما أيضًا في قلوبنا وأرواحنا. علينا أن نذوّت الحقيقة أنّه على الرغم من خلافاتنا، فإنّ الآخر يعبد ويحبّ اللّٰه، وبالمقابل، فإنّ اللّٰه، بعطفه ورحمته، يحبّه ويصغي إليه.

[98] سورة العنكبوت، الآية 46.
[99] الإيمان المشترك بإله واحد هو الفكرة الرئيسيّة الكامنة في الآية القرآنية التالية، من سورة آل عمران: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ" (الآية 3، سورة آل عمران). هذه الآية هي العنوان الذي أعطي لرسالة مفتوحة تعود لعام 2007، وجّهها قادة مسلمون إلى قادة مسيحيّين، لدعوتهم لإيجاد أرضيّة مشتركة والتفاهم بين الديانتين.

العهد بين اللّٰه وبني إسرائيل:

يعترف القرآن الكريم على نطاق واسع بالعهد المقدّس بين اللّٰه وبني إسرائيل، وبأنّ التوراة أنزلت من السماء على سيّدنا موسى في سيناء.[100] يصف القرآن الكريم البركة التي خصّ اللّٰه اليهود بها، وينتقد كلّ من ينقض هذا العهد.[101] يؤكّد القرآن الكريم أيضًا على أنّ اللّٰه سيفي أخيرًا بعهده معهم.[102]

يشدّد القرآن الكريم أساسًا على حرص اليهود على الالتزام بشعائر السبت، واقتران ذلك بالعهد الذي قُطع فوق جبل سيناء.[103] وحقًا، فإنّ يوم السبت في التوراة، هو دلالة على العهد الأزليّ بين اللّٰه وبني إسرائيل:

فَيَحْفَظُ بَنُو إِسْرَائِيلَ السَّبْتَ لِيَصْنَعُوا السَّبْتَ فِي أَجْيَالِهِمْ عَهْدًا أَبَدِيًّا. هُوَ بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلاَمَةٌ إِلَى الأَبَدِ... ثُمَّ أَعْطَى مُوسَى عِنْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الْكَلاَمِ مَعَهُ فِي جَبَلِ سِينَاءَ لَوْحَيِ الشَّهَادَةِ: لَوْحَيْ حَجَرٍ مَكْتُوبَيْنِ بِإِصْبَعِ اللهِ.[104]

وفي حديث نبويّ شريف، يؤكّد محمّد ﷺ على التزام اليهود بشعائر يوم السبت:

جاء على لسان صفوان بن عسّال: "ذهبوا إلى رسول الله (ﷺ) ليسألوه عن تسع علامات واضحة. فقال لهم: "لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا... وَخَاصَّةً لَكُمْ أَنْتُمْ يَا يَهُود، أَلَّا تَنْتَهِكُوا حُرْمَةَ السَّبْت".[105]

[100] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 63.
[101] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآيتان 84-85.
[102] القرآن الكريم، سورة البقرة، الأية 40.
[103] القرآن الكريم، سورة البقرة، الآيات 63-65.
[104] سفر الخروج، 31: 16-18.
[105] جامع الترمذي 2733.

المصداقيّة المستدامة للتوراة واليهوديّة:

يؤكّد القرآن الكريم في الغالب على مصداقية اليهود الملتزمين بالتوراة.[106] توفّر سورة المائدة سياقًا رئيسيًّا ينعكس فيه الاحترام المتبادل بين الأديان، ويشير عدد من المصادر التقليديّة إلى أنّ سورة المائدة هي السورة الأخيرة في القرآن الكريم، ممّا يجعل منها تصريحًا نهائيًّا وقاطعًا. ولذلك، نقترح قراءة موسّعة:

إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء.[107]

تشير السورة إلى إعطاء الإنجيل لـ "أهل الإنجيل" ليحكموا بموجبه، وإلى "الكتاب" المقدّس الذي مُنح لمحمّد ﷺ. وتنصّ على ما يلي:

احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ. لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (الآية 48). فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ.[108]

تنبثق عن هذه الآيات أربعة مبادئ أساسيّة: 1: أعطى اللّٰه التوراة لليهود كمجموعة قوانين وركيزة لنهج حياتهم. 2: الشرائع المختلفة للفئات الدينيّة المختلفة تمثّل إرادة اللّٰه. 3: المنافسة الأساسيّة بين هذه الفئات الدينيّة المختلفة تكمن في الأعمال الصالحة. 4: أخيرًا، بالنسبة

[106] راجعوا "The Quranic View of Sacred History and Other Religions" *by Joseph Lumbard in The Study Quran, Harper* 1, 2025, pages 1765-1784, والذي يوثّق بتوسّع جذور هذا التوجّه.
[107] سورة المائدة، الآية 44.
[108] سورة المائدة، الآيتان 48-49.

للاختلافات بين الفئات الدينيّة المختلفة، فإنّ اللّٰه سيعلمنا بها لاحقًا. فكرة التنافس بين الفئات الدينيّة المختلفة على الأعمال الصالحة، وانتظار التفسير الإلهيّ للاختلافات فيما بينها في فترة لاحقة، تؤكّد على استمرارية هذه الديانات.

كلّ عنصر من هذه العناصر يتكرّر كثيرًا في مختلف فصول القرآن الكريم. على سبيل المثال، تنتظر سورة المائدة مجدّدًا من اليهود والمسيحيّين الالتزام بما جاء في التوراة والإنجيل، تباعًا:

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم. قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ.[109]

جاء في حديث نبويّ شريف عن اليهود الذين جاؤوا إلى محمّد ﷺ لطلب رأيه. بدلًا من إصدار حكم، دعا عالمًا يهوديًّا للحكم عليهم استنادًا إلى التوراة:

"أحضِروا التوراة"، فأحضِرت. أزال (محمّد) الوسادة من خلفه ووضع التوراة فوقها، قائلًا، "آمنت بك وبمن أنزلك". ثم قال، "أحضروا لي عالِمين من بينكم. فأتى رجلٌ شابٌ..."[110]

وبنفس الروح، تؤكّد سورة البقرة على الاختلافات بين الديانات في الممارسة، ولكنّ المنافسة الجوهريّة تكمن في الأعمال الصالحة: "وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعًا. إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ".[111]

[109] سورة المائدة، الآيات 66-68.
[110] حديث نبويّ شريف: سنن أبي داود 4449.
[111] سورة البقرة، الآية 148.

أولويّة الأعمال الصالحة تعكس ما جاء في المدراش، المُقتبس في الفصل الأول من هذه الأطروحة: "أشهّد السماء والأرض أنّه سواء كان يهوديًّا أو غير يهوديّ، رجلًا أو امرأة، عبدًا أو خادمة، فإنّ حلول الروح القدس عليهم مرتبط بأفعالهم".[112]

يشدّد القرآن الكريم في كثير من النصوص على أنّ اللّٰه منح الفئات الدينيّة المختلفة طقوسها الخاصّة ورسلها الخاصّين، ولذلك، لا يوجد ما يدعو للخلافات والنزاعات فيما بينها.[113] بهذه الروح، يشير القرآن الكريم إلى أنّ التعدّدية هي مشيئة اللّٰه: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ".[114]

النتيجة المنطقيّة لهذا التوجّه هي رفض الانفراد الدينيّ، خاصةً في الديانات الإبراهيميّة التوحيديّة. على ضوء ذلك، تنقد سورة البقرة ما تعتبره رفضًا متبادلًا بين اليهوديّة والمسيحيّة، مع أنّهما "يَتْلُونَ الْكِتَابَ":

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَاب. كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ. وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُم".[115]

إذا استنتج المسلم من الآيات أعلاه أنّه لا توجد للمسيحيّة واليهوديّة أيّ أساس ترتكزان عليه، فهذا يعني أنّه لم يفهم المغزى من وراء هذه التعاليم. تشير هذه الآيات أيضًا إلى يوم القيامة، حيث سيحكم اللّٰه بين اليهود والمسيحيّين، وسيسوّي الخلافات فيما بينهم، وهذا يؤكّد على استمراريّة شرعيّة هاتين الديانتيْن إلى أن يحين هذا اليوم.

[112] تعاليم بيت إلياهو، الفصل 9.
[113] راجعوا القرآن الكريم، سورة يونس، الآية 47؛ سورة الحج، الآية 34؛ سورة الحج، الآية 67.
[114] سورة الحجرات، الآية 13.
[115] سورة البقرة، الآيتان 113، 120.

فإذا كان نشوء الإسلام قد أبطل هاتين الديانتين، لن يكون هناك داع للتحكيم بينهما في يوم القيامة.[116]

إحدى الوثائق التاريخيّة التي تدلّ على انفتاح الإسلام تجاه اليهوديّة هي "وثيقة المدينة"[117] والتي وضعها محمّد ﷺ، وهي تنصّ على أنّ المسلمين والمسيحيّين يشكّلون معًا مجتمعًا واحدًا[118] وأنّه لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم."

الخلاص السماويّ لليهود:

السؤال حول ما إذا كان أتباع الهوية الدينيّة الأخرى جديرين بالخلاص ليس مجردّ مسألة مِيتافِيزِيقِيّة، إنّما مسألة مفصليّة في رسم مسار العلاقات بين الطائفتين الدينيتين. إذا وجد أتباع إحدى الديانتين أنّ هوية الآخر تحكم عليها بالرفض واللعنة الإلهيّة، قد يؤدّي ذلك إلى شرعنة العنف باسم اللّه، كما أشرنا سابقًا.

يظهر في العديد من السياقات في القرآن الكريم معيار لدخول الجنة. فقد جاء مثلًا في سورة المائدة أنّ: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ".[119]

في آية أخرى، ينفي القرآن الكريم المعتقد بأنّ الجنّة حكرًا على ديانة معيّنة:

[116] فكرة أنّ اللّه سيحكم على اليهود وسيحكم بين اليهود والمسيحيّين في يوم القيامة، تظهر عدّة مرات في القرآن الكريم، ما يدلّ على أنّ هاتين الديانتين باقيتان إلى أن يحين هذا اليوم. فيما يلي بعض الأمثلة الإضافيّة:"إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ **وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**" (سورة النحل، الآية 124)."وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُواْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (سورة يونس، الآية 93). "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (سورة الحج، الآية 17). "وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ. وَآتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ. إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ" (سورة الجاثية، الآيتان 15-16).

[117] https://en.wikipedia.org/wiki/Constitution_of_Medina.

[118] The Arabic text states *"Innahum ummatun – wiihidatun"* - they are one umma.

[119] سورة المائدة، الآية 69. راجعوا سورة البقرة، الآية 62، للاطّلاع على صياغة أخرى لنفس المبدأ.

وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ. بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ".[120]

هذه الآيات هي ردّ على فكّرة أنّ أتباع هذه الديانة فقط سيكافؤون في الآخرة.[121] في الواقع، فإنّ معايير الاستحقاق هي التفاني في عبادة اللّه ومن أجل الفضيلة، وهي ليس حكرًا على ديانة واحدة. يتوقّع القرآن الكريم الخطر المترتّب على سوء فهم الاستحقاق الحصريّ للخلاص في الآيات التالية:

وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا؟ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا. وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا.[122]

التعبير الرئيسيّ "لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ" يوضّح أنّ الاستحقاق غير قائم على الهوية الدينيّة إنّما على عمل الصالحات، كما جاء لاحقًا في نفس الآية. يحذّر هذا المقطع من الاحتمال بأن يطوّر المسلمون (وأتباع الديانات الإبراهيميّة الأخرى) نظرية الاستحقاق الحصريّ للخلاص.[123]

[120] سورة البقرة، الآيتان 111-112.

[121] كما جاء أعلاه: تقبّل التيار السائد المعتقد اليهودي بأنّ باب جنّة عدن مفتوحة لجميع الأتقياء من بني البشر.

[122] سورة النساء، الآيات 122-124.

[123] جزء كبير من اللاهوت المسيحيّ أسندّ الخلاص إلى إيمان الكنيسة بألوهيّة السيّد المسيح (راجعوا أيضًا العبارة اللاتينية "لا خلاص خارج الكنيسة". النهج الشامل الذي يعتمده القرآن الكريم بخصوص الخلاص السماويّ ربّما يعود جزئيًّا إلى عدم تأليه محمّد ﷺ والمطلب بأن يكون التفاني الدينيّ للّه وحده. راجعوا مثلًا: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ. أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ؟ (سورة آل عمران، الآية 144). يستند الحديث الشريف إلى هذا التمييز بين مكانة السيّد المسيح في المسيحيّة ومكانة محمّد ﷺ في الإسلام: "**روى عمر ابن الخطّاب، رضي اللّه عنه:** سمعت النبيّ يقول: "لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ". صحيح البخاري 3445

أختتم بتصريح مهمّ للغاية مقتبس عن حديث شريف، يؤكّد على الخلاص لليهود والمسيحيّين، ويحذّر من الافتراض أنّ الهوية الإسلامية هي بحدّ ذاتها ضمان بالخلاص:

روى عوف ابن مالك أنّ الرسول ﷺ قال:

"افترقتِ اليهودُ على إحدَى وسبعينَ فِرقَةً؛ فواحدةٌ في الجنةِ وسبعون في النارِ، وافترقتِ النّصارى على ثنتينِ وسبعينَ فرقةً؛ فواحدةٌ في الجنةِ وإحدى وسبعونَ في النارِ، والذي نفسي بيدهِ لتفترِقنّ أمّتي على ثلاثٍ وسبعينَ فرقةً؛ فواحدةٌ في الجنةِ وثنتانِ وسبعونَ في النارِ". قيلَ: "يا رسولَ اللهِ من هم؟" قال: "همُ الجماعَة".[124]

هل ألغي اعتراف القرآن الكريم باليهوديّة؟

على ضوء المصادر الواضحة المقتبسة أعلاه، كيف يؤمن العديد من المسلمين إذًا بأنّ اليهوديّة ديانة بالية؟ كما أشرنا سابقًا، هذا ليس مجرّد سؤال استنكاريّ، بل وجوديّ أيضًا. ويؤسفني القول إنّ الطريق بين رفض الهوية الدينيّة للآخر وبين التشكيك في شرعيته والسعي لشيطنته قصيرة وخطيرة، وستؤدّي في نهاية المطاف إلى ممارسة العنف ضده.

بكلمة واحدة فقط، الإجابة عن هذا السؤال هو *"النسخ"*، وهو مبدأ فقهيّ يعني رفع حكمٍ شرعيٍّ سابق، بدليلٍ شرعيٍّ مُتأخرٍ عنه. مع أنّه من المتعارف عليه بشكل عام أنّ هذا المفهوم مرتبط بالوصايا والنواهي، ولكن ليس بالعقيدة أو الماورائيات (الميتافيزيقا)،[125] يدّعي البعض،

[124] سنن ابن ماجه، 3992.

[125] راجعوا "The Study Quran"، ص. 49، وردّ القائد الدينيّ الإسلاميّ الجليل، فتح الله كولن على أسئلتي بخصوص تطبيق *"النسخ"* على اليهوديّة: *النسخ* هو قضية فقهيّة، وهو مرتبط بالآيات القرآنيّة التي تتناول موضوع الحُكم. مبدأ *النسخ لا ينطبق على الآيات التي تروي أحداثًا تاريخيّة أو تتناول أركان الإيمان، وهي جوهر الدين".*

من خلال استخدام فضفاض لهذا المبدأ، أنّ الآيات والعبارات الشاملة في القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف حول اليهوديّة منسوخة، ولم تعد سارية. المفارقة المأساويّة المترسّخة في هذا النهج هي أنّه للإعلان أنّ اليهوديّة لاغية، يجب الإعلان أنّ العديد من الآيات القرآنية لاغية أيضًا. وبالتالي، فإنّ رفض التوراة بناءً على هذا المبدأ هو عمليًّا رفض للقرآن الكريم نفسه. وفي هذا الشأن، تجدر الإشارة إلى النصّ القرآني "أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ؟"[126]

كانت لهذا التوجّه اللاهوتيّ عواقب قاتلة. على سبيل المثال، نجد ضمن أبرز مؤيّدي اعتماد مبدأ *"النسخ"* للادّعاء أنّ اليهوديّة لاغية ابن حزم (994-1064)،[127] وهو ابن لأبوين مسيحيّين اعتنقا الإسلام وكانا يعيشان في الأندلس. فقد أكّد قائلًا: "فبهذا وبغيره قلنا: ألّا يترك أحد على غير دين الإسلام".[128] كان للاهوته تأثير عميق على الموحّدين، الذين قادوا المذابح وحملات التهجير والتحوّل الدينيّ القسريّ بحق اليهود في الأندلس،[129] في فترة عرفت بأشدّ الفترات ظلما وظلامًا لليهود تحت الحكم الإسلاميّ.

لِمَ لا ينطبق *النسخ* على اليهوديّة:

هناك ثلاثة أسباب رئيسيّة لوجوب عدم تطبيق النسخ على مكانة الديانة اليهوديّة. أولًا، وكما ذكرنا سابقًا، فإنّ النسخ لا يسري على قضايا الإيمان، العقيدة والماورائيات. ثانيًا، ينطبق النسخ فقط على الحالات التي يستبدل فيها حكم متأخّر حكمًا سابقًا. ولكن بعض التوكيدات المؤثّرة على شرعية التوراه واليهوديّة كطريق مؤدية إلى الخلاص، تظهر في سورة

[126] سورة البقرة، الآية 85. كان ذلك موجّهًا في الأصل لهؤلاء الذين تشبّثوا بأجزاء معيّنة من التوراة وليس لجميعها، وهو ينطبق على نحو مماثل على هؤلاء الذين يرفضون أجزاءً من القرآن.

[127] راجعوا Camilla Adang, *Muslim Writers on Judaism and the Hebrew Bible.* Brill, 1996, pp. 216-222

[128] مقتبس لدى David Wasserstein in "The Intellectual Genealogy of Almohad Policy towards Christians and Jews" in *Forced Conversion in Christianity, Judaism and Islam,* ed. Mercedes Garcia-Arenal and Yonatan Glazer-Eytan. Brill, 2020, 140

[129] المرجع السابق، ص 133-151.

المائدة، وهو نصّ تشير مراجع عديدة إلى أنّه آخر النصوص القرآنية. هذا التأريخ المتأخّر يستبعد تطبيق مبدأ النسخ، كما جاء بوضوح في مرجع اقتبسه ابن كثير، على لسان عائشة، زوجة محمّد ﷺ:

> *حججت فدخلت على عائشة، فقالت لي:* "يا جبير تقرأ المائدة ؟"
> فقلت: نعم". فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت. فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه ، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه.[130]

في الختام، فإنّ الآيات القرآنيّة التي يُزعم أنّها تلغي اليهوديّة تفعل ذلك بموجب تفسير عينيّ فقط لهذه الآيات، والذي يتعارض مع معناها البسيط. الآية القرآنيّة الرئيسيّة التي تشكّل ركيزة لمبدأ الإبطال أعلاه هي سورة آل عمران، الأية 85: "وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ". ولكن دعونا نتذكّر إنّ كلمة "إسلام" هنا هي الكلمة العامّة الواردة في القرآن الكريم لوصف كلّ من سار في درب سيّدنا إبراهيم في التفاني من أجل عبادة اللّٰه- وليس حصرًا لمن يتّبعون تعاليم القرآن الكريم. كما رأينا سابقًا، فإنّ المسلم في القرآن الكريم ليس سيّدنا إبراهيم فقط، إنّما أيضًا يعقوب وأبناءه، الذين عاشوا في عصور سبقت التوراه والقرآن. مثال آخر للمعنى الأوسع لمصطلح "مسلم" هي الآية الرئيسيّة في سورة المائدة عن مكانة اليهوديّة، حيث وردت كمة أسلموا لوصف اليهود الذين يتّبعون تعاليم التوراة:

> "إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُو لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء".[131]

[130] تفسير ابن كثير لسورة المائدة.
[131] سورة المائدة، الآية 44. فيما يتعلّق بنسخ اليهوديّة، راجعوا أيضًا كتاب "بستان العقول" للحاخام نتنئيل بيرف فيومى (1090-1165)، قائد يهود اليمن، وهو إصدار يهوديّ-عربيّ عن اللاهوت والأخلاقيات والذي يقتبس نصوصًا قرآنيّة مرات عديدة للتأكيد على أنّه لم يأت لنسخ التوراة. للترجمة الإنجليزيّة للمقاطع ذات الصلة، راجعوا: *God Shall Be One*, pp. 48-49

كلّ واحدة من الحجج الثلاث أعلاه التي تدحض سريان النسخ على اليهوديّة قوية بحدّ ذاتها، بمعزل عن الحجتيْن الأخريين. أتمنى بصدق أن تشكل القيّم الجوهريّة للإسلام، كما تنعكس في نصوصه، مرجعًا للتوصّل إلى إجماع واسع النطاق يرفض مبدأ النبذ الذي يضعف الأمل ببناء مستقبل يزدهر فيه التآخي اليهوديّ-الإسلاميّ، في سبيل اللّٰه.

مكانة التوراة:

يمنح القرآن الكريم الشعب اليهوديّ اللقب الموقّر *أهل الكتاب*.[132] للأسف، فإنّ هذه الركيزة التي تحظى بموجبها الديانة اليهوديّة بالاحترام الذي تستحقه، تضعضعت بشدّة في أعقاب مزاعم بعض المسلمين بأنّ توراة اليهود الحالية ليست التوراة المقدسّة التي تكرّرت في القرآن عدّة مرات.

ما هو مصدر هذا الادّعاء، غير المترسّخ في المصادر الإسلاميّة التأسيسيّة بل ومناقض لها؟ هناك اصطلاح يُدعى "تحريف"، يرتكز على كلمة متعلقة بالتوراة، تكرّرت في القرآن الكريم عدّة مرّات. على سبيل المثال: "مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ".[133]

"العديد من المفسّرين القدامى، مثل الطبري والرازي، يفسّرون الآية أعلاه على أنّها تتناول تحريف[134] أو إساءة تفسير[135] معنى التوراة. هذا هو معنى التحريف وفقًا لتفسير عبد اللّٰه ابن عباس، ابن عم الرسول وأحد الصحابة، وهي مكانة أضفت على آرائه قيمة عليا: "إنّهم *يُحَرِّفُون*" (سورة النساء، الآية 46) الكلمة، أيّ 'أنّهم يغيّرون معناها'. *ولكن لا أحد يستطيع تغيير كلمة واحدة من أي كتاب من الكتب السماويّة.* هذا يعني أنّهم يفسّرون الكلمة على نحو خاطئ".[136]

[132] يشمل هذا الوصف المسيحيّين أيضًا فيما يخصّ الاعتراف بالإنجيل والذي يعتبره القرآن أيضًا مصدرًا إلهيًّا.
[133] سورة النساء، الآية 46. يظهر التحريف في أماكن أخرى في القرآن الكريم: سورة البقرة، الآية 75-79؛ سورة المائدة، الآية 13؛ سورة المائدة، الآية 41
[134] للاطّلاع على الجوانب اللغويّة للتحريف، راجعوا *Study Quran*، ص. 36.
[135] Camilla Adang, *Muslim Writers on Judaism and the Hebrew Bible*, pp. 223-248.
[136] Sahih al-Bukhari, *The Oneness of God*, the chapter on Surah Al-Borooj. سورة البروج، الآيتان 21-22، "بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظ".

تعريف ابن عباس للتحريف متناغم مع نصوص قرآنيّة توضّح أنّ اليهود في عصر محمّد اتّبعوا تعاليم التوراة التي أنزلها اللّه. على سبيل المثال، "وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ **وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ** فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ؟"[137] "فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ **يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ** مِن قَبْلِكَ"[138]

الحديث النبويّ التأسيسيّ المقتبس سابقًا (والذي سنقتبسه مجدّدًا أدناه) عن احترام الرسول للتوراة هو دليل قاطع على أنّ نبيّ الإسلام لم يعتبرها محرّفة:

"أحضِروا التوراة، فأحضِرت. أزال (محمّد) الوسادة من خلفه ووضع التوراة فوقها، قائلًا، "آمنت بك وبمن أنزلك" من الذي أوحى إليك". قال: "أحضروا لي عالِمين من بينكم. فأتى رجلٌ شابٌّ..."[139]

بالإضافة إلى ذلك، وكما أشار العديدون، فإنّ اقتران عدد قليل من اليهود بالتحريف، كما جاء في القرآن الكريم، يعني أنّه يقصد بذلك سوء تفسير النصّ، وليس تزييفه. فالتعريف الأخير هذا يوحي بأنّ الجاليات اليهوديّة المختلفة امتلكت نسخًا مختلفة من التوراة بسبب قيام بعض اليهود بتحريف النصوص- وهذا الادّعاء لم يطرح قط.[140]

لقد كان ذلك ابن حزم، بسِجاله السامّ المعاديّ لليهوديّة- الذي اتخذ موقفًا متطرّفًا وأخذ يوعظ أنّ النصّ حُرّف على يد عزرا الكاتب، الذي عاشَ قبل مجيء الإسلام بألف عام.[141] مع ذلك، دعا العديد من

[137] سورة المائدة، الآية 43.
[138] سورة يونس، الآية 94.
[139] حديث نبويّ شريف: *سنن أبي داود* 4449.
[140] بالإضافة إلى سورة النساء، الآية 46، راجعوا أيضًا سورة 2، الآية 75. وردت هذه النقطة لدى الأستاذ الدكتور تامر محمّد متولي (*Bias against Judaism", al Sadiqin 2020, page 21*) الذي يشير أيضًا إلى أنّ هذا الادّعاء موجّه ضد البعض من اليهود وليس جميعهم، وأنّه يسري على أجزاء من التوراة وليس على التوراة كلّها (القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 13).
[141] راجعوا Camilla Adang, "Medieval Muslim Polemics against the Jewish Scriptures," *in Muslim Perceptions of other Religions,* 1999. p. 153.

العلماء المسلمين إلى العودة إلى المعنى الأصليّ *للتحريف*، ليس لأنّه يناقض عددًا كبيرًا من النصوص القرآنية والأحاديث النبويّة التي تعترف بوضوح بصحّة وشرعيّة النصّ التوراتيّ فحسب، إنّما أيضًا لأنّه قد تكون للادّعاء نفسه تداعيات سلبيّة على الإسلام أيضًا. فكرة أنّ التوراة الأصليّة فقدت وتلك التي يملكها اليهود الآن هي نسخة مزيّفة تمسّ بالعقيدة الإسلاميّة بأنّ كلمة اللّه غير قابلة للتحريف: "وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا".[142]

وفي هذا المضمار، كتب تامر محمّد متولي أنّ الإسلام أشبه بقمة مبنى قائمة على وحي سابق. تاريخ الشعب اليهوديّ هو جزء مهمّ من قصّة الإسلام. وباعتبارهم حَمَلة الموروث، فإنّ القرآن الكريم يدعو اليهود لأن يكونوا شهودًا. والادّعاء أنّ كتابهم محرّف يُضعف دورهم هذا. وكما كتب متوليّ، فإنّ "هدم أيّ جزء من هذا المبنى يعني هدم المبنى بأكمله، وحمايته تعني الحفاظ على المبنى كلّه... تاريخ اليهود هو جزء مهم وأساسيّ من قصّتنا".[143]

تعريف التحريف على أنّه تزييف متعمّد للتوراة هو تحديدًا الأمر الذي يحذّر منه القرآن الكريم: سوء تفسير وتحريف لمحتوى الكتب المقدّسة. يتوازى ذلك مع الطريقة التي يتّبعها المستشهدون *بالنسخ* لتأكيد ادّعائهم بنسخ التوراة، متجاهلين الآيات القرآنيّة العديدة التي تنصّ على خلاف ذلك.

من المهم بل ومن الضروريّ أيضًا رفض الادّعاء بتحريف التوراة والادّعاء بنسخ اليهوديّة، لوضع حدٍ للكراهية والعنف اللذين يتغذّيان على هذه الأفكار ضد الشعب اليهوديّ، ولوضع بنية تحتيّة وتمهيد الطريق نحو التآخي بين اليهود والمسلمين. أومن بأنّ هذا التآخي سيحقّق إرادة اللّه، وبه، ستحلّ البركة على الجميع.

[142] سورة الكهف، الآية 24. راجعوا أيضًا "...وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ"، سورة الأنعام، الآية 34.
[143] *Bias against Judaism*, pages VII-VIII.

الشعب اليهوديّ من منظور القرآن الكريم:

جزءٌ كبيرٌ من القرآن الكريم يعيد سرد قصّة الشعب اليهوديّ. في الواقع، فإنّ أكثر الشخصيات المذكورة في القرآن الكريم هي لسيّدنا موسى، بحيث ظهر اسمه أكثر من 130 مرة. شاركني قائد دينيّ مسلم ذات مرة رؤيته العميقة للتاريخ اليهوديّ: "قصّة الشعب اليهوديّ هي درسٌ للبشريّة". وحقًا، تستطيع البشريّة تعلم الكثير من الوصف الذي ورد في التوراة لنجاحات وإخفاقات الشعب اليهوديّ. مع ذلك، من المهم أن نتذكّر في هذه السيرورة التعلّميّة أنّ الكتب المقدّسة التي تنتقد اليهود تعبّر أيضًا عن محبّة اللّه الأبديّة لهم، رغم عيوبهم، كسائر بني البشر.

لطالما كان النقد واللوم جزءًا لا يتجزّأ من مسيرة الشعب اليهوديّ نحو النمو والتغيير. هذا التوجّه مترسّخ في المفهوم التناخيّ للوم والتوبيخ، كتعبيرٍ عن محبة اللّه: "لأنّ الذي يحبّه الرب يؤدّبه".[144] لهذا السبب، تشمل التوراة نقدًا لإخفاقات وسوء تصرّف بعض اليهود في مواقف مختلفة، إلى جانب العديد من العبارات الإيجابيّة عن اليهود ومحبّة اللّه لهم.

أهمية لفت النظر إلى الخطأ والذنب وردت أيضًا في الوصية الإلهيّة "... إِنْذَارًا تُنْذِرُ صَاحِبَكَ..." في سفر اللاويّين، الإصحاح 19، الآية 17. يمكننا استنباط رسالة مهمّة جدًا لموضعة هذا المفهوم في التوراة بين الحظر الوارد في "لاَ تَقِفْ عَلَى دَمِ قَرِيبِكَ" (الآية 16) وبين فكرة أن "تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ" (الآية 18). من ناحية، فإنّ الامتناع عن معاتبة الآخرين يضاهي إلى حدٍ ما عدم التدخّل عندما يكون أحد ما معرّض لخطر الموت (الوقوف مكتوفي الأيدي عند رؤية دماء جيراننا). ولكن من ناحية أخرى، عندما يوجّه اللوم والتوبيخ بالشكل الصحيح، فإنّه يكون تعبيرًا عن محبّتنا وعطفنا تجاه المحيطين بنا.

[144] سفر الأمثال 3:12.

القدرة على التعلّم من الماضي والسعي لمعالجة الأخطاء هي أحد الأسباب وراء صمود الشعب اليهوديّ، الذي حافظ على التوراة وعلى هويته طيلة ثلاثة آلاف عام- منذ العهد السينائيّ. تشكّل التوراة دليل إرشاد لسيرورة التحسين الذاتيّ من خلال التوجّه المباشر والصريح الذي توصي به للاعتراف بالمشكلات.

على النقيض من ذلك، فإنّ القرآن الكريم لا يتضمّن هذا القدر من النقد لأتباعه. ويعود السبب وراء ذلك إلى تدوين القرآن الكريم في فترة مورِسَ فيها الإسلام من قبل حلقة صغيرة من أتباع محمّد ﷺ. بالطبع، لو كانت السرديّة القرآنيّة تغطي تاريخ شعبٍ امتد على آلاف السنين، كما في التوراة، لتضّمّن هذا البعد النقديّ. وردَت هذه المسألة في حديث نبويّ شريف[145] يحذّر من المعتقد الخاطئ أنّ الانتماء للإسلام هو بحد ذاته ضمانًا بالخلاص. وفي الحقيقة، يوجد من بين اليهود والمسلمين والمسيحيين من يستحق دخول الجنّة ومن لا.

ولكن للأسف، فإنّ تقبّل النقد الذاتيّ الذي تميّز به الشعب اليهوديّ على مرّ العصور، فُهِمَ بشكل خاطئ، وأصبح في بعض الحالات سببًا لمعاداة السامية. بدلًا من تقبّل فكرة النقد الذاتيّ وتصحيح العيوب الشخصيّة والجماعيّة،[146] يختار البعض تصوير النقد التوراتيّ لبعض الفئات من اليهود على أنّه تعبير قاطع عن طبيعة الشعب اليهوديّ بشكل عام. ولكن كما سنرى لاحقًا، فإنّ القرآن الكريم لا يرفض هذا التوجّه المغلوط فحسب، إنّما يؤكّد أيضًا على أنّ الانتقاد الموجّه لأهل الكتاب مرتبط بسياق معيّن، أيّ أنّه لا يمكن أن يشكّل ركيزة للإدانة الجارفة للشعب اليهوديّ بأكمله.

[145] راجعوا أعلاه شرح هذا الحديث النبويّ الشريف، سنن ابن ماجه 3992.

[146] "...تشير بعض الأحاديث المنسوبة إلى محمّدٍ ﷺ إلى أنّ نقد الطوائف التابعة للديانات السابقة لا يعني حتمًا إنّها إدانة لجميع هذه الطوائف... ويمكن تفسيرها من منظور أوسع على أنّها نقدٌ للطبيعة البشريّة التي تميل للنسيان، وبالتالي، فإنّها تنقض بذلك العهد مع اللّه. بهذا المعنى، فإنّ هذا النقد لا يقتصر على إدانة هؤلاء الذين نقضوا العهد مع اللّه في الماضي، بل يحذّر أيضًا من الميل العام لنقض هذا العهد." Joseph Lumbard, "Covenant and Covenants in the Quran." *Journal of Qur'anic Studies,* 2015, page 15

نِعم الله لبني إسرائيل ومغفرته لهم:

قبل مناقشة نقد اليهود في القرآن الكريم، يجدر بنا أولًا العودة إلى النصّ القرآنيّ الذي يتطرّق إلى استحقاق اليهود لنِعم الله ومغفرته، ضمن أوصاف مماثلة عديدة أخرى: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ".[147]

حظي بنو إسرائيل بهذه النعم لأنّهم جديرون بها:

وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ.[148]

تصف آية سابقة من نفس السورة سيّدنا موسى وهو يعلّم الناس أنّهم إن تحلّوا بالصبر، سيمنحهم الله أرضًا:

*قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ **اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا** إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.*[149]

تطرّق البابا فرنسيس أيضًا إلى تفاني الشعب اليهوديّ وثباتهم على إيمانهم، حينما قال في "نوسترا إيتاتي":

لم ينقض الله يومًا عهده مع بني إسرائيل، وعلى الرغم من المحن الصعبة التي مرّوا بها في القرون الأخيرة، حافظ اليهود على التزامهم وثباتهم على إيمانهم بالله، ولذلك، لن نتمكن، نحن في الكنيسة والبشريّة جمعاء، من التعبير عن امتناننا لهم بالقدر الكافي.[150]

لطالما كان الصبر والإيمان بالله ميزتين اتّسم بهما الشعب اليهوديّ على مرّ تاريخ ممتد لآلاف السنين، فقط تشبّثوا بهويتهم وعقيدتهم، على الرغم من الاضطهاد الدينيّ المستمر.

[147] سورة البقرة، الآية 47. راجعوا أيضًا سورة البقرة، الآية 122؛ سورة المائدة، الآية 20 وسورة الجاثية، الآية 16.
[148] سورة الأعراف، الآية 137.
[149] سورة الأعراف، الآية 128. *راجعوا أيضًا: Study Quran: 448.*
[150] رسالة إلى د. أوجينيو سكالفاري.

مغفرة الله:

مثل التوراة، يتطرّق القرآن الكريم إلى خطايا بني إسرائيل خلال تيههم في الصحراء بعد خروجهم من مصر. ولكنّه يذكر أيضًا مغفرة الله لهم:

*وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ. **ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ، وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ. فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ **فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.***[151]

هذه الاقتباسات ليست إلّا مجموعة مختارة صغيرة من الآيات القرآنيّة التي تصوّر اليهود كشعب مبارك ومغفور له من الله، وتوفّر سياقًا مهمًّا لمناقشة الانتقادات.

النقد الموجّه لليهود في القرآن الكريم: "لَيْسُواْ سَوَاء"

تحسّبًا لخطر تنميط اليهود، غالبًا ما تكون الانتقادات الواردة في القرآن الكريم مصحوبة بتحذير من خطر التعميم. على سبيل المثال، بعد معاتبة الشعب اليهوديّ، جاء في سورة آل عمران:

لَيْسُواْ سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ.[152]

[151] سورة البقرة، الآيات 51-54.
[152] سورة آل عمران، الآيتان 113-115. راجعوا أيضًا سورة آل عمران، الآية 75؛ سورة النساء، الآية 160؛ سورة الأعراف، الآية 159. راجعوا: Muhamad Ali, "They are not all Alike Indonesian Muslim intellectuals perception of Judaism and Jews.' *In Indonesia and the Malay world* 38, 2010, pp. 329-347. راجعوا أيضًا: "The Quran on Jews and Judaism." *In CCAR Journal*, 2018, pp. 152-165

وجهة النظر المتمثّلة في هذه الآية، "لَيْسُواْ سَوَاء" مهمّة جدًا لفهم طبيعة الانتقادات الموجّهة لليهود في القرآن الكريم، والتي وجّهت لفئات محدّدة من اليهود لأنّهم لم يلتزموا بوصايا ديانتهم. أقتبس أدناه مثالين عن اللوم والتوبيخ، واللذين إن نظرنا إليهما بشكل معمّق، فإنّهما يؤكّدان على احترام اليهوديّة واليهود.

توبيخ اليهود الذين ينتهكون حرمة السبت:

بعض الخطابات التي تنزع الصفة الإنسانيّة عن اليهود تدّعي باسم الإسلام أنّ اليهود قردة، وقد أدّى هذا التوصيف في بعض الفترات إلى ترجمة المشاعر المعادية للسامية إلى أعمال عنف ضد اليهود. وفي ذلك مثال واضح آخر على سوء فهم الكلمات والرسالة التي يحملها القرآن الكريم.

الانتقاد الشديد لهم والمتمثّل بـ "وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ " يظهر في سياق انتقاد اليهود الذين ينتهكون حرمة السبت. يتناول القرآن الكريم حِفظ يوم السبت كجزء لا يتجزّأ من عهد سيناء، كما جاء في الآية التالية: "وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لاَ تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا".[153] يؤكّد القرآن الكريم على هذا العهد بواسطة إدانة اليهود الذين لا يحفظون السبت، واصفًا أياهم بالقِردة: "فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ!"[154]

الرسالة التي يحملها القرآن الكريم بواسطة هذا النقد اللاذع هي أنّه يتوجّب على الجميع، بغض النظر عن ديانتهم، الالتزام بعهدهم مع اللّه. بالإضافة إلى ذلك، يشدّد القرآن الكريم هنا وفي آيات أخرى على أنّ هذا التوبيخ موجّه لبعض اليهود فقط وليس لجميعهم.

[153] سورة النساء، الآية 154.
[154] سورة الأعراف، الآية 166.

توضّح السورة التالية رد فعل اليهود على انتهاك حرمة السبت. أنذر بعض البعض يهودًا آخرين بوقف انتهاك حرمة السبت، بينما التزم آخرون الصمت حِيال هذا الموضوع، مع أنّهم كانوا يحرصون بأنفسهم على حفظ السبت. وقد شكّكت الفئة الأخيرة في مدى فاعلية وأثر جهود الفئة الأولى:

*وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُون. فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ...فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ!"...**وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ.***[155]

من خلال الإشارة إلى أنّ اليهود الملتزمين بحفظ السبت هم أتقياء، وهؤلاء غير الملتزمين به يجب أن يعاقبوا، يوضّح القرآن الكريم إلى أنّ الانتقادات الموجّهة لهم ليست حكمًا قاطعًا على الشعب اليهودي بأكمله، إنّما تحذير عام بوجوب الالتزام بالعهد مع اللّه، وتوبيخ العُصاة.

فهم غضب اللّه:

نجد في صميم الصلاة الإسلاميّة أول سورة من القرآن الكريم، وهي سورة الفاتحة، والتي تتكرّر سبع عشرة مرّة على الأقل في اليوم. وتُختتم بدعاء الهداية: "اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّين".[156]

[155] سورة الأعراف، الآيات 164-166، 168.
[156] سورة الفاتحة، الآيتان 6-7.

وفقًا لهذه الآية، يقتبس كتاب **التفسير الكبير** لفخر الدين الرازي، الحديث النبويّ الشريف التالي: "اليهودُ مغضوبٌ عليهم ، والنصارى ضُلّال".[157] وبالإمكان تفسير هذا الحديث النبويّ الشريف على أنّه لا يصدر حكمًا قاطعًا على اليهود أجمعين. ظهرت كلمة "الغضب" في الآية أعلاه في "الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ"، وترد لاحقًا في القرآن الكريم، في سورة البقرة، في قصّة جيل الصحراء الذي أثار غضب اللّٰه بسبب خطاياه:

*وَإِذْ قُلْتُمْ "يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ ... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ **وَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ** ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ".*

هنا، فإنّ خطايا بني إسرائيل في الصحراء هي مثال على السلوك الذي يثير غضب اللّٰه. ولكنّ الآية التالية في نفس السورة تؤكّد على أنّ اليهود الذين لم يرتكبوا الخطايا، سيكافئون:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ".[158]

بهذه الخاتمة التي تحمل هذا الوعد، لا يمكن لهذه السورة أن تكون ركيزة للإدانة الجارفة لجميع اليهود. غضب اللّٰه على بني إسرائيل ترك الباب في نهاية المطاف مواربًا للمغفرة، كما جاء في آيات أخرى في القرآن الكريم.[159] هذه المغفرة مكّنت اليهود من الدخول إلى أرض الميعاد.

عندما يتطرّق الحديث النبويّ الشريف إلى اليهود كشعب مغضوب عليه، فإنّه يقصد بذلك الواقعة العينيّة في الصحراء، والتي اقترنت بها كلمة "المغضوبِ"، ولا يقصد بذلك بالطبع العلاقة الدائمة بين اللّٰه واليهود.

[157] الترمذي 2954.
[158] سورة البقرة، الآية 62.
[159] سورة البقرة، الآيات 51-54.

عودة الشهود:

جزء من الانتقادات تحاه اليهود في القرآن قائم على الاعتقاد أنّهم أرادوا إبعاد المسلمين عن اللّٰه. من منظور إسلاميّ، فإنّ هذا الاتهام هو النقيض التامّ للمهمّة التي أوكلها اللّٰه لأهل الكتاب: "فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ. لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ".[160]

يعرّف القرآن الكريم اليهود على أنّهم "الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ"، لذلك، يمكنهم أن يشهدوا على صحّة كلام اللّٰه. مع ذلك، يتطرّق القرآن الكريم أيضًا إلى أولئك الذين أخفقوا في هذه المهمّة التي أوكلت إليهم: "وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ".[161]

يقارن الاقتباس التالي بين اتهام اليهود بالتضليل، والمثاليّة المقترنة بدور الشعب اليهوديّ كشهود للّٰه: "وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ! لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُون؟"[162]

ليس القرآن وحده ما يُسند إلى اليهود دور الشهود. فهناك مصادر وصلوات يهوديّة تأسيسيّة تفصّل بوضوح واجب اليهود المساهمة في بناء مستقبل يعيش فيه بنو البشر بتناغم ويخدمون اللّٰه معًا. الجزء الأول من هذه الأطروحة يحدّد المبادئ التي يرتكز عليها هذا الواجب، ويستعرض منظورًا يهوديًّا راسخًا حول الإسلام، والذي يعترف بقيمة وشرعية المسلمين الذين يعبدون اللّٰه وفقًا لعقيدتهم. هذا المنظور اليهوديّ حول الإسلام والمدعوم بالمصادر هو نقيض لسلوكيات هؤلاء اليهود التي ينقدها الإسلام، ويعزّز دورهم كشهود.

[160] سورة يونس، الآية 94.
[161] سورة البقرة، الآية 109.
[162] سورة آل عمران، الآيتان 69-70.

اليهود الذي يحترمون ويقدّرون الإسلام في السياق الأوسع لطريق إبراهيم يجب أن يؤدّوا دور الشهود وأن يدعم هؤلاء المسلمين المتشبّثين بالقيم والرسائل التي يحملها القرآن الكريم حول هذه القضايا. عودة اليهود والمسلمين إلى أسس التآخي والاحترام فيما بينهم، وتذويت هذه الأسس، سيحملان معهما، إن شاء اللّٰه، أعظم النعم، وهي بناء مجتمع مشترك يوجد فيه مكان لكلّ واحد وواحدة منّا.

البركة كقاعدة أساسيّة للتآخي:

من المؤسف أنّه على مدار قرون عديدة، فسّر بعض القادة المسلمين بعض النصوص القرآنيّة كمبرّرات لاهوتيّة للاعتداءات العنيفة، والمميتة أحيانًا، ضد الشعب اليهوديّ. هذه التأويلات هي في الواقع سوء فهم للنصّ. من المهم أن يعترض المرشدون المسلمون على هذه التفسيرات المغلوطة للقرآن الكريم وعواقبها الخطيرة.

إذا عاودنا قراءة الآية أعلاه من سورة الفاتحة، نرى أنّ "صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ" قد تفسّر على أنّها تعود أيضًا للشعب اليهود. أخبرني صديقي الأستاذ عبداللّٰه جلادري ذات مرة أنّ كلمة "أَنْعَمْتَ" تستخدم أيضًا لوصف الشعب اليهوديّ: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون".[163]

العدد الكبير من الآيات التي يخصّصها القرآن الكريم للتعريف بقصة الشعب اليهوديّ تبيّن أنّه يمكننا تعلّم الكثير من رحلتهم الطويلة وعلاقتهم باللّٰه في سعينا لشق طريقنا نحو مستقبل مشترك.

[163] سورة البقرة، الآيتان 40 و 47.

خاتمة

بعد الدعوة لاتباع عقيدة سيّدنا إبراهيم[164] وإسناد دور الشهود إلى أهل الكتاب،[165] يتطرّق القرآن الكريم إلى هؤلاء الذين تحوّلوا من أعداء إلى إخوه متحدين قلبًا وعقلًا:

وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ.[166]

بنفس الروح، يصف الزوهار، وهو أهم كتب التراث الكبالي، الانتقال من صراع مُميت إلى الأخوة القائمة على الحبّ والمبارَكة من اللّٰه:

يبدون أولًا كرجال يخوضون حربًا، ويسعى كلّ منهم لقتل الآخر. ثم يبدون متحابين ومتناغمين... ليبهجكم الله ويبشّركم بالسلام، ومن أجلكم، سيحلّ السلام على العالم أجمع، فقد جاءَ أنّه "من أجل إخوتي وأصحابي لأقولن: سلام بك(سفر المزامير، 122:8)."[167]

اليهود والمسلمون إخوة، أبناء سيّدنا إبراهيم. جميعنا من ذرية الأخوين إسحاق وإسماعيل، سواء روحيًّا أو بيولوجيًّا.

[164] سورة آل عمران، الآية 95.
[165] سورة آل عمران، الآية 98.
[166] سورة آل عمران، الآية 103. التفسير المطروح هنا هو التآخي بين جميع أتباع عقيدة سيّدنا إبراهيم، بما في ذلك أهل الكتاب، أي اليهود والمسيحيّين.
[167] Aĥarei Mot 59b. *Zohar,* Pritzker Edition, translated by Daniel C. Matt. 168- Rabbi Abraham Isaac Kook, Shemonah Kevatzim 1:101.

يحذّر مثلٌ في التلمود من اختيار الطريق الأقصر والتي يتّضح في النهاية أنّها الأطول، بدلًا من اختيار الطريق الأطول التي يتّضح أنّها الأقصر. بكلمات أخرى، فإنّ الجاهزيّة للاستثمار في سيرورة بعيدة المدى ستفضي إلى نتائج أفضل وأكثر استدامة، بدلًا من اتخاذ طريق سريع ظاهريًا سيؤدّي بنا إلى سيرورة أطول بكثير. توجّه "مقاس واحد مناسب للجميع" لجميع العلاقات بين أتباع الديانات المختلفة قد يكون أقصر طريق إلى بناء صداقة وثقة بين أتباع الديانات المختلفة. ولكن لتحقيق نتائج تحوّليّة حقيقيّة، دعونا لا ننسى أنّ التآخي قائم أساسًا على العلاقات. لهذا السبب، علينا أن نعترف بتميّز كلّ علاقة بين أتباع الديانات المختلفة، والتي تتطلّب توجّهًا خاصًّا بها.

معظم بني البشر يتبعون واحدة من الديانات الإبراهيميّة، والتي نشأت في الشرق الأوسط، وهي حاليًا المنطقة الأشدّ توتّرًا في العالم بسبب الصراعات الدائرة فيها. إذا نجح الدين في أن يتحوّل إلى مصدرٍ للسلام والترابط في هذه المنطقة، سيشكّل ذلك مصدر إلهام لجميع الناس في العالم لإيجاد الطريق الصحيح، استنادًا إلى معتقداتهم وهوياتهم، للانضمام إلى سيرورة عالميّة تؤدّي بنا إلى الوحدة والألفة.

أتمنّى أن تسهم المنهجيّة والتوجّه المطروحان هنا في مداواة عالمنا الجريح. التآخي بحدّ ذاته نعمة وقيمة. إنّه أيضًا الطريق نحو معالجة القضايا الحارقة والمهمّة للبشريّة. الاغتراب، الخوف والكراهية تجاه الآخر، جميعها ستزيد من المظالم وستفاقم من حدة الإشكاليّات القائمة. العامل الأساسيّ في تحقيق إنجازات رائدة يتلخّص بثلاث كلمات: "الترابط قبل التصحيح". من خلال تبنّي رؤية التآخي، يمكننا اكتشاف مختلف الطرق للتغلّب على التحديات التي بدت لنا في السابق عقبة يستحيل تجاوزها.

يسألني طلابي أحيانا: "حاخام يعقوف، هل تعتقد حقًا أنّ اللقاء بينك أنت وإمام معيّن وبناء علاقة بينكما كافيان لتحقيق السلام؟" إجابتي هي أنّ هذه اللقاءات لا تحقّق السلام، فهي بحدّ ذاتها السلام! عندما يبني شخصان علاقة حقيقيّة وذات معنى، تربط بين وجدانين عميقيْن، لا تكون هذه العلاقة طريقًا نحو السلام، بل السلام بحدّ ذاته. الهدف هو توسيع نطاق ذلك ليصل إلى أعداد كبيرة. ثم أدعو طلابي ليصبحوا شركاء ويطوّرون علاقات جديدة مع الآخر. نحن بحاجة لشراكة واسعة النطاق تجمع بين قادة وأشخاص عاديّين من كلتي الديانتين، ولقاءات موسّعة على المستوى الأهليّ ومبادرات تربويّة لتحقيق السلام والتآخي بين المجتمعات على نطاق أوسع.

طرحت هذه الأطروحة رؤية لعلاقة يهوديّة-إسلاميّة، ولكننا نأمل أن تُعمّم رؤية التآخي هذه مستقبلًا على البشريّة جمعاء. أختتم بكلمات الحاخام أبراهام إسحاق كوك عن رؤيته لمستقبل تتّحد فيه البشرية جمعاء وتُجسّر هوة الانقسام بين الناس:

> *المحبّة للبشرية جمعاء تملأ قلوب الأتقياء من بين الناس...أملهم في السعادة للجميع، الأمل في النور والبهجة... وعندما يختلطون بالناس ويجدون الانقسامات بين الأمم والديانات والطوائف، وبين الطموحات المتعارضة، سيفعلون كل ما بوسعهم لاحتواء الجميع ولتحقيق الوحدة بينهم.*[168]

[168] Rabbi Abraham Isaac Kook, Shemonah Kevatzim 1:101.

ملحق: لمحة عن مركز أور توراه للحوار بين الأديان:

أقيم مركز أور توراه في عام 2020، وهو يدير بيت مدراش (خلية تفكير) ومعهد بليكل لحوار الأديان.

يهدف إلى جعل الدين جزءًا من الحلّ لقضايا عالميّة بواسطة التشجيع على الاعتراف والاحترام المتبادل بين اليهوديّة وسائر العقائد. يستند إلى الإيمان بأنّه لليهوديّة دور مركزيّ في القصة الأكبر للبشريّة، خاصةً في عصر العولمة الجديد من ناحية، وقيام دولة إسرائيل، من ناحية أخرى. لطالما كان نشاطنا هذا ملحًا ومركّبًا في آن واحد، خاصة في الشهور الأخيرة، منذ السابع من أكتوبر.

مبادرات المركز تشمل تطوير بنية تحتيّة فكريّة، حشد الدعم لحوار الأديان لدى أبناء الشعب اليهود وبناء علاقات طويلة الأجل مع قادة الديانات الأخرى (مع التركيز على العالم الإسلاميّ). يرأس المركز منذ تأسيسه في عام 2020 الحاخام يعقوف ناغين، وهو أحد أهم وأبرز الحاخامات عالميًا في مجال الوئام بين الأديان. يحظى باعتراف قادة دينيّين وسياسيّين ومنظّمات دينيّة وسياسيّة، على المستويين المحليّ والعالميّ، وتربطه علاقة وثيقة بأهم القادة من المغرب، المملكة العربيّة السعوديّة، الإمارات العربيّة المتحدة، العراق، أندونيسيا، كازاخستان، ألمانيا، الولايات المتحدة وغيرها، وأيضًا من إسرائيل والسلطة الفلسطينيّة.

الأحداث المروعة التي وقعت في السابع من أكتوبر عرّفت العالم أجمع بعواقب تسليح الدين والتحديات المترتّبة عليه والتي تهدّد الاستقرار العالميّ. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الاضطرابات الأخيرة في غزة أدت إلى موجة من معاداة السامية في مختلف أنحاء العالم، في وقت تعاني فيها مجتمعات إسلاميّة من عواقب رهاب الإسلام. يؤدّي هذا الواقع إلى تقاطع مصالح القادة الدينيّين اليهود والمسلمين، ونعتقد

أنّ الوقت قد حان لأن يسيروا خطوة للأمام نحو بناء تحالفات حقيقيّة بين الطرفين. هذه التحالفات تسهم في التخفيف من حدّة التوتّرات الداخليّة لدى اليهود وفي المجتمع الإسرائيليّ، حيث يوجد أيضًا انقسام بخصوص العلاقة مع "الآخر".

نتطلّع إلى بلورة "نوسترا إيتاتي،"[169] يهوديّة-إسلاميّة، إذ نحيي السنة المقبلة (2025) ذكرى مرور 60 عامًا على هذا الإعلان غير المسبوق، ونودّ استغلال هذه المناسبة للتشجيع على خوض سيرورة مماثلة بين اليهود والمسلمين.

يسعدنا تلقّي ملاحظاتكم وأفكاركم، وندعوكم للتواصل معنا

الحاخام د. أهارون لاڤي،
المدير الإداريّ
+972-50-473-4513
lavi@ots.org.il

الحاخام د. يعقوف ناغين،
المدير التنفيذي
+972-52-595-9045
ynagen@ots.org.

[169] *نوسترا إيتاتي* (من اللاتينيّة: "في عهدنا")، أو وثيقة الإعلان عن علاقة الكنيسة بالديانات الأخرى، كان أول إعلان في تاريخ الكنيسة الكاثوليكيّة الذي يتمحور حول العلاقة التي تربط الكاثوليكيّين باليهود، المسلمين وديانات أخرى. صدرت عن الفاتيكان في عام 1965، وهي تعتبر وثيقة تاريخيّة قيّمة أسهمت إلى حد كبير في تعزيز السلام والتسامح في مختلف أنحاء العالم.

حاجتنا للتآخي الدينيّ بين المسلمين واليهود

هل يمكن للدين أن يتحوّل من سبب للصراع في الشرق الأوسط إلى جزءٍ من الحل؟ هل يمكن لهوياتنا الأساسيّة أن تجمع بيننا نحو بناء مستقبل مشترك؟ لقد حان الوقت للديانتين الإسلاميّة واليهوديّة لتحقيق الفائدة القصوى من بعضهما البعض بواسطة بناء تصوّر متبادل للعلاقة بينهما، ليس كسرديتين متناقضتين بل **كعنصرين مكمّلين لقصة مشتركة.**

تتردّد أصداء هذا النداء في نصوصنا الدينيّة الأساسيّة، والتي تشكّل ركيزة متينة للاعتراف بالقيمة والشرعيّة والنعمة الكامنة في الهوية الدينيّة للآخر.

هناك أيضًا رابط عائليّ وطيد بين هاتين الديانتين، وهو سيّدنا إبراهيم وابناه إسحاق وإسماعيل، أسلاف أتباع كلّ من الديانتين. هذا الرابط قد يخلق سجالًا، لكنّه يحمل في طياته أيضًا فرصة للتآخي. نؤمن بأنّه من واجبنا تجاه الله تعزيز الاحترام المتبادل والوحدة، وتحقيق الرغبة الإلهيّة للديانتين.

نعمل نحن، حاخامات مركز أور توراه للحوار بين الأديان، منذ سنوات مع قادة دينيّين مسلمين من أجل خوض سيرورة تاريخيّة تسعى لتطوير منظومة حقيقيّة وأصليّة من النماذج اللاهوتيّة، قائمة على نصوص دينيّة، تعترف بهويّة الآخر الدينيّة وتقدّرها أيضًا، باعتبار ذلك عنصرًا مكملًا لخدمتنا الإلهيّة. في "التآخي الدينيّ بين المسلمين واليهود: نموذج لمستقبل مشترك"، نرسم خارطة طريق لاهوتيّة لسيرورة كهذه.

الدكتور الحاخام يعقوف ناغين هو رئيس مركز الحوار بين الأديان التابع لمؤسسة "أور توراه ستون". يُعَدُّ من أبرز المدافعين عن الدين كوسيلة لتعزيز السلام. وعلى مدار عقدين من الزمن، كان شخصية رائدة في مجال الحوار بين الأديان، وخاصة بين اليهودية والإسلام. وهو مؤلف لعشرة كتب والعديد من المقالات حول الروحانية اليهودية، والتلمود، والحوار بين الأديان.